الديوان

الدستور

المحرر العام: محمد الباز

الأحد ٨ سبتمبر ٢٠٢٤ | ٥ ربيع الأول ١٤٤٦

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 08

د. وجدى زين الدين:

لويس عوض.. مسيرة تنوير واسعة

محمد السيد صالح:

أحلام المياه الجوفية بالصحراء

د. صفاء النجار

أشهر 50 خُرافة فى علم النفس

مصر وتركيا والتاريخ

هؤلاء يكتبون عن زيارة الرئيس:

محمد عبدالعزيز - على سعدة - خالد حريب
ياسر شورى - منى رجب - محاسن السنوسى

أسامة عبدالرءوف الشاذلى
أميرة ملش - محسن الفحام
أحمد بهاء الدين شعبان
حسين دعسة - عبدالرحيم طايع

يكتبون عن:

حرب غزة والسفاح نتنياهو

محمد العسيرى:

عن ظاهرة المطرب الملثم

جلال حمام:

مصر فى الصومال.. لحفظ أمنها وتدريب جيشها

د. محمد عفيفى:

القمص سرجيوس

محمد رفعت

زيارة الرئيس تركيا

تتويجًا للتفاهمات.. ومزيدًا من المصالح؛
تُؤسس العلاقاتُ الخارجية بين الدول من أجل خدمة المصالح المشتركة، ففى السياسة لا صديق دائم، ولا عدو دائم، المصالح العليا للبلاد هى التى تحكم العلاقات بتنميتها أو قطعها إن اضطرت الضرورة لذلك، نقول ذلك بمناسبة بدء الزيارة التاريخية للرئيس عبدالفتاح السيسى دولة تركيا بعد ١١ عامًا من توليه الرئاسة، كانت هى نفس الفترة التى توترت فيها العلاقات بين البلدين، لأسباب معروفة، حتى تغيرت الرؤى واقتنع كل طرف بأهمية الحفاظ على العلاقات بين القوتين الكبيرتين فى منطقة الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط.

مصر وتركيا تجمعهما علاقات قديمة ومتجذرة وتمتد من الجغرافيا، حيث تقع تركيا قبالة السواحل الشمالية لمصر المطلة على البحر المتوسط، وحيث التاريخ المشترك الذى سبق قيام الدولة العثمانية بدخول الإسلام إلى تركيا ومصر، وحيث العلاقات الاجتماعية التى تعود إلى علاقات مصاهرة ونسب بين العديد من العائلات المصرية والتركية.

وتختلط على إثر كل ما سبق الثقافة والعادات المشتركة التى تسهم فى التفاهم بين الشعبين، وتسهم فى تنمية العلاقات السياسية والاقتصادية المشتركة.

ما بين مصر وتركيا العديد من القضايا المشتركة التى تفرض على البلدين اتخاذ مواقف موحدة أو متقاربة، أهمها فى الوقت الحالى أزمة العدوان الإسرائيلى على غزة ووقف الإبادة الجماعية لسكانها العزل والمستمرة لحوالى ١١ شهرًا، وحان وقت اتخاذ الموقف الموحد للقوى الكبرى فى المنطقة «مصر وتركيا»، يضاف إليهما ضرورة التفاهم حول الصراع الدائر فى ليبيا والسودان ومنطقة القرن الإفريقى، وأى خلافات تتعلق بشرق البحر المتوسط وترسيم الحدود البحرية.

زيارة الرئيس عبدالفتاح السيسى تركيا تعد «تتويجًا للمصالحة» بين البلدين، والتى بدأت بمحاولات تقارب تركى قبل سنوات، وزادت بزيارة الرئيس التركى رجب طيب أردوغان مصر فى فبراير الماضى، وتأتى هذه الزيارة لتعطى دفعة أكبر فى توقيت مهم للعلاقات الثنائية، وستدفع بمزيد من التعاون التجارى والسياحى والثقافى الذى لم يتوقف أو يتأثر بالأزمات السابقة.

أضف إليها التعاون العسكرى المهم المتوقع التوصل إليه مع توقيع تعاقدات عسكرية خلال زيارة الرئيس الحالية، وهو يعد تطورًا مهمًا فى موازين القوى فى المنطقة يصب بالطبع لصالح الدولتين.

حاليًا تبلغ قيمة التبادل التجارى بين مصر وتركيا حوالى ٧,٧ مليار دولار خلال عام ٢٠٢٢، بحسب بيان للجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، ويعمل فى مصر أكثر من ٢٠٠ شركة ومصنع تركى، وتسهم الشركات المصرية باستثمارات تتعدى ٢,٥ مليار دولار فى تركيا، ويتوقع أن ترتفع هذه الأرقام لتصل إلى ١٥ مليار دولار كتبادل تجارى، نتيجة لتوقيع اتفاقات ومذكرات تفاهم بين البلدين خلال زيارة الرئيس اليوم، تركيا، بما يعود بالنفع على الشعبين ويعدل من ميزان التوازن فى المنطقة.

> تأتى هذه الزيارة لتعطى دفعة أكبر فى توقيت مهم للعلاقات الثنائية وستدفع بمزيد من التعاون التجارى والسياحى والثقافى الذى لم يتوقف أو يتأثر بالأزمات السابقة

محمد عبدالعزيز

القاهرة- أنقرة.. ود يعود وروابط تتجدد

تمضى العلاقات بين الأفراد بين مد وجذر، صعود وهبوط، حميمية وجفاء. علاقاتنا مع الآخرين لا تسير دائمًا على وتيرة واحدة، فهى تتحرك وفق الأحداث وتخضع لمصلحة كل طرف، غير أن هناك عوامل تدعم الوشائج وتقوى الروابط وتعزز المحبة. قد تأخذ على صديقك أو قريبك أنه تجاهل السؤال عنك لبعض الوقت، أو أنه ابتعد فى وقت كنت تتوقع أن تجده أقرب الناس إليك، أو قد يكون موليًا وجهه عكس وجهتك بعض حين، لا غرابة فهكذا هم البشر.

وكذلك أيضًا تمضى علاقات الدول ولكن بمزيد من التعقيد، حيث تتقدم لغة المصالح غيرها من الأولويات. كم رأينا منذ صدر التاريخ دولًا تقاربت إلى حد الاندماج، ثم عادت السبل لتتفرق بهم «فإذا الأحباب كل فى طريق» كما تقول الست فى أطلال إبراهيم ناجى. وقد لا يتسع المجال هنا لتعداد حالات تاريخية بين القديم والحديث، والمعاصر أيضًا، كانت فيها العلاقات الثنائية أو حتى الإقليمية مهيأة لإقامة تحالفات أو عقد اتفاقات تعاون وتكامل بل ربما اندماج، ثم ما تلبث أن تتدخل قوى دولية لإفساد الحال.

هناك فى المقابل علاقات تبدأ بفتور أو عدم ود قد يصل الأمر لحد القطيعة السياسية والدبلوماسية. وهنا يكون من المحتم أن يعلو صوت العقل لتتاح الفرصة لحساب من نوع مختلف. ففى مثل تلك الحالات يكون على الجميع أن يحسب ماذا سيخسر كل طرف ومن المستفيد من زيادة الهوة بين الطرفين. وفى ظنى أن النموذج الأبرز لهذا النوع من العلاقات الرشيدة هو فى الحالة المصرية - التركية، حيث نجحت القيادات فى الدولتين فى «تصفير» المشكلات كنموذج يحتذى فى ملف العلاقات الدولية.

فى تغريدة نشرها السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى تتزامن مع زيارته الأولى للجمهورية التركية تحدث سيادته عن العلاقات التاريخية والسياسية المتأصلة بين الدولتين منذ عهد الزعيم التركى كمال أتاتورك، لكنه أشار صراحة إلى العلاقات الشعبية أيضًا. تلك العلاقات المشتركة كانت هى الدافع الحقيقى لتغليب الإرادة القوية لدى الدولتين والقيادتين لبدء مرحلة جديدة من الصداقة والتعاون والتنسيق الذى يعزز دور كلتا الدولتين المحورى فى محيطهما الإقليمى والدولى.

يأتى هذا التقارب السياسى استجابة - كما نوه الرئيس السيسى - لإرادة شعبية، رغم سنوات الجفاء التى تم تجاوزها بخطوات دبلوماسية فى منتهى الحكمة، وتعززت بزيارة رئاسية تركية للقاهرة قبل نحو سبعة أشهر، ليكلل الرئيس السيسى هذه الخطوات بزيارة بدأت اليوم باستقبال رسمى تركى أقل ما يقال عنه أنه الاستقبال الذى يليق بمصر ورئيسها.

ينتظر الظهير الشعبى فى كلتا الدولتين مزيدًا من التفاهمات التى بدأت منذ بدأت مياه العلاقات تعود لمجاريها الطبيعية. ترتيبات وتنسيقات مشتركة تفرضها المصلحة العليا لكلتا الدولتين أبرزها تحريك الموقف لصالح التوافق الليبى - الليبى. فضلًا عن مد مزيد من جسور التعاون التجارى الذى لم ينقطع طوال فترة الجفاء، ولكن هناك طموحات لزيادة حجم التجارة البينية لتصل إلى ١٥ مليار دولار بدلا من ١٠ مليارات حاليًا. أعلم تمامًا أن هناك عددًا غير قليل من شبابنا بدأ يتوجه نحو الجامعات التركية سعيًا لتحويل أو تعزيز مساراتهم العلمية والأكاديمية، غير أن ما فاجأنى هو تلك التقارير التى تصل بحجم العمالة التركية فى مصر إلى نحو ١٠٠ ألف شخص! وأن السوق التركية استقبلت صادرات مصرية قاربت قيمتها نحو ٣ مليارات دولار خلال العام الماضى فقط.

> يأتى هذا التقارب السياسى استجابة - كما نوه الرئيس السيسى - لإرادة شعبية، رغم سنوات الجفاء التى تم تجاوزها بخطوات دبلوماسية فى منتهى الحكمة

وقد يصل بنا الطموح لأن نتمنى أن يكون هناك تعاون عسكرى مشترك يضمن تحقيق المصالح العليا المشتركة للبلدين الشقيقين. ولعلى لا أكون مبالغًا إذا قلت إن هناك شعوبًا عربية شقيقة ستكون فى غاية السعادة لهذه الزيارة، أبرزهم بالطبع الأشقاء فى فلسطين، إذ إن التلاقى والتفاهم بين زعيمى اثنتين من أكبر الدول الإسلامية سيكون نقطة قوية تدفع نحو إيقاف الحرب الإسرائيلية على الأبرياء فى غزة. وهناك أيضًا الملف السودانى الذى تأزم بصورة موجعة شتتت أهل السودان بين عدد من الدول، لكن مصر كانت هى الدولة الأقرب التى فتحت الأبواب ولم توصدها فى وجه الإخوة السودانيين فى ذروة أزمتهم، وفى ظنى أن التقارب المصرى- التركى سيكون بابًا لتحقيق نوع من الاستقرار الداخلى السودانى الذى يجمع أهله من الشتات ويعيد مواطنيه إلى ديارهم. هذا فضلًا عن غيرها من الملفات المهمة كملفى السياحة والصحة.

شكرًا لزعيمى الدولتين الإسلاميتين الأكبر ولقدرتهما على تجاوز الخلافات وبناء مزيد من جسور الثقة التى تتعزز اليوم بهذه الزيارة التاريخية، وفى انتظار ترجمة على أرض الواقع لهذا التقارب وتلك العلاقات ينتهى باتفاقات وإجراءات لصالح الشعبين الشقيقين.

على سعدة

مصر وتركيا والتاريخ

العلاقات المصرية- التركية من أغرب العلاقات على مر التاريخ.. تماوجت كثيرًا ومرت بمراحل متناقضة بين الاندماج الكامل، إبان الاحتلال العثمانى إلى العداء وطرد السفراء مرتين.. ثم إلى استعادة العلاقات وتبادل المحبة والأمنيات الطيبة.

احتلت الإمبراطورية العثمانية مصر فى ١٥١٧م فى أعقاب الحرب العثمانية المملوكية «١٥١٦-١٥١٧»م، وكان السلطان طومان باى هو الضحية الأولى لهذا الغزو؛ إذ أُعدم وعلق رأسه على باب زويلة بعد هزيمته فى موقعة الريدانية أمام السلطان سليم الأول العثمانى، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مصر ولاية عثمانية، طيلة ٢٨١ عامًا «١٥١٧- ١٧٩٨».

ظلت مصر ولاية عثمانية حتى بدأ حكم محمد على، حيث تمتعت مصر فى عهده وباقى الولاة من أسرته بقدر من الاستقلال، وبعد الاحتلال البريطانى تحولت السيادة العثمانية إلى مجرد مسمى حتى عام ١٩١٤، عندما أعلنت بريطانيا الحماية على مصر وزوال الحكم العثمانى..

توطدت العلاقات المصرية التركية بعد ذلك فترة من الزمن إلى أن قامت مصر بطرد السفير التركى من القاهرة عام ١٩٥٤.

ففى الرابع من يناير ١٩٥٤ أصدرت الحكومة المصرية قرارًا نص على رفع الحصانة الدبلوماسية عن فؤاد طوغاى، سفير تركيا فى القاهرة، واعتباره شخصًا عاديًا مع طرده من مصر وإبلاغ هذا القرار للحكومة التركية.

ونشرت جريدة «الأهرام»، فى عدد ٥ يناير ١٩٥٤، الخبر على صدر صفحتها الأولى تحت عنوان بالبنط العريض «طرد سفير تركيا من مصر، لحملاته المستمرة على سياسة قادة الثورة وتوجيهه ألفاظًا نابية لجمال عبدالناصر».

ففى مساء ٢ يناير بمناسبة افتتاح وزارة الإرشاد لموسم دار الأوبرا دخل البكباشى جمال عبدالناصر فصافح سفير الهند، ثم أبصر السيد طوغاى فى أحد أركان الغرفة فحياه بكلمة هالو، ولكن السيد طوغاى بدلًا من أن يرد التحية وجه إلى البكباشى جمال بصوت عال عبارات، أقل ما توصف به، أنها لا يمكن أن تصدر من شخص مسئول، فضلًا عن ممثل دبلوماسى مفروض فيه الكياسة التامة فى الحديث وأول واجباته التزام الحدود.

وتابع خبر «الأهرام» سرد الوقائع «قال السيد طوغاى للبكباشى جمال عبدالناصر: إن تصرفاتكم ليست تصرفات جنتلمان، ولن تكون هناك أى صداقة بيننا وبينكم».

وتكرر أيضًا موضوع طرد السفير التركى من مصر عام ٢٠١٣، عندما أعلن المتحدث باسم الخارجية المصرية، السفير بدر عبدالعاطى سحب السفير المصرى من أنقرة نهائيًا، وتخفيض التمثيل الدبلوماسى مع تركيا، وطلب من السفير التركى فى القاهرة المغادرة بسرعة، باعتباره شخصًا غير مرغوب فيه من الحكومة المصرية، كما قررت مصر تخفيض التمثيل الدبلوماسى؛ ردًا على تصريحات رئيس الوزراء التركى آنذاك رجب طيب أردوغان، والتى تدخل فيها فى الشئون الداخلية المصرية دون وجه حق، وطالب فيها بإطلاق سراح الرئيس المصرى المعزول مرسى، كما صرح بأن علامة «رابعة» أصبحت إشارة دولية للتنديد بالظلم على حد تعبيره.

كما قامت تركيا بعد ثورة ٣٠ يونيو وعزل محمد مرسى بفتح ذراعيها لكل المعارضين لمصر وتأسست عدة قنوات هدفها الأوحد الهجوم على مصر وقائدها، إلا أنه بعد المصالحة تم إبعاد كثير من المعارضين، وتم إيقاف معظم القنوات المعارضة لمصر ونظامها.

تدور الأيام ويصرح الرئيس السيسى بأن الرد على التصريحات التركية سيكون له أوانه ومكانه.. وبالفعل رأينا السياسات تتغير من الجانب التركى تمامًا ومن نفس الأشخاص، بل وتسعى جاهدة لكسب ود مصر واستعادة العلاقات الطيبة بين البلدين.. ورأينا الرئيس الجديد رجب طيب أردوغان بعد مصافحته الرئيس السيسى فى بطولة العالم لكرة القدم بدولة قطر يزور مصر ويلتقى الرئيس السيسى، الذى قبل بدوره دعوة أردوغان له لزيارة تركيا، وهو ما تم بالفعل مؤخرًا؛ لتنتشر صور تصافح وتعانق الرئيسين فى كل وكالات الأنباء العالمية لنبدأ عهدًا جديدًا من العلاقات المصرية التركية، قائمًا على الود والاحترام لمصلحة البلدين، خاصة وأن الترابط المصرى التركى هام جدًا فى الوقت الراهن، فى ضوء المشكلات الإقليمية وخصوصًا الحرب على غزة والوضع فى سوريا وليبيا والعراق وإثيوبيا.

> الترابط المصرى التركى هام جدًا فى الوقت الراهن فى ضوء المشكلات الإقليمية وخصوصًا الحرب على غزة والوضع فى سوريا وليبيا والعراق وإثيوبيا

خالد حريب

صفقة «الكل رابح» فى زيارة السيسى تركيا

بينما يقف العالم كله على قدم واحدة ترقبًا للمفاوضات التى تدور مع حماس لوقف الحرب فى غزة وعودة الأسرى الإسرائيليين، وبينما تتجه الأنظار إلى القاهرة كمحطة رئيسية لهذه المفاوضات، قررت مدرسة الخارجية المصرية العمل على توسعة رقعة الشطرنج كى يرى كل اللاعبين الإمكانيات المتاحة فى الهجوم والدفاع.

جاءت تلك التوسعة من خلال زيارة الرئيس عبدالفتاح السيسى، تركيا أمس، تلك الزيارة التى يمكن وصفها بحق وعن جدارة بـ«الزيارة التاريخية»، وهى تاريخية ليس لأنها تأتى بعد عشرية مناوشات دبلوماسية بين البلدين ولكنها تاريخية لأنها تأتى وخريطة الشرق المتوسط قد ارتبكت بصورة لم يسبق لها أن كانت عليه، إسرائيل تواصل مجازرها فى غزة، وإثيوبيا أو كما يحلو للبعض تسميتها بـ إسرائيل السوداء تتحرك نحو البحر الأحمر لتبحث لنفسها على موطئ قدم على البحر من خلال ما يقولون عليها أرض الصومال، فضلًا عن جريمة إثيوبيا الكبرى فى سد النهضة، وفى الشمال محاولات تلو الأخرى لتقريب وجهات النظر بين أنقرة ودمشق، وإذا زدنا على ذلك مشكلات الغاز فى البحر المتوسط وأزمات تركيا مع قبرص واليونان، سوف نرى أن الصورة بشكل عام لا توحى بالخير أو الاستقرار، وأن استمرار المشهد على هذه الحال هو خسارة للجميع.

من هنا بالتحديد تأتى براعة التوقيت الذى تمت فيه زيارة الرئيس السيسى تركيا ولقاء القمة بين الرئيسين المصرى والتركى، الطرفان يعرفان حق المعرفة أن قوة التفاوض مع أى قوى من خارج المتوسط تعتمد على قوة تسليح وقوة اقتصاد الطرف المفاوض، لذلك تم توقيع ١٧ اتفاقية بين الجانبين المصرى والتركى، واستمعنا إلى طموح الطرفين بأن يرتفع حجم التبادل التجارى بين البلدين من ١٠ مليارات دولار سنويا إلى ١٥ مليارًا، أى زيادة تقترب من ثلاثة وثلاثين فى المئة.

تلك القفزات الواسعة فى العلاقات المصرية التركية لم تكن ابنة الظرف السياسى الحالى ولكنها جاءت عبر تراكم وتفاعل خلال السنوات الماضية بطريقة الخطوة خطوة، بدأت من لقاء المصافحة بين الرئيسين فى الدوحة فى افتتاح كأس العالم لكرة القدم وتم تتويجها بزيارة الرئيس أردوغان إلى مصر وتلاها زيارة الرئيس السيسى إلى تركيا.

> هذه زيارة عنوانها الكبير يأتى فى كلمتين «الكل رابح» لذلك هى زيارة تاريخية بامتياز

المراقبون أجمعوا على وصف الزيارة التى قام بها السيسى إلى تركيا بذات الوصف الذى كتبته فى بداية المقال بأنها زيارة تاريخية، وتم تفسير ذلك لكونها «نقلة نوعية للعلاقات بين البلدين تنعكس إيجابيًا على المنطقة بشكل عام».

الرئاسة المصرية أيضًا كانت على ذات الخط وقالت نفس التعبير ووصفت زيارة الرئيس إلى أنقرة بـ«التاريخية»، معتبرة أنها تمثل محطة جديدة فى مسار تعزيز العلاقات بين البلدين، والبناء على الزيارة السابقة للرئيس أردوغان، وتأسيسًا لمرحلة جديدة من الصداقة والتعاون المشترك بين البلدين، سواء ثنائيًا أو على مستوى الإقليم، الذى يشهد تحديات جمة تتطلب التشاور والتنسيق بين البلدين.

الصورة المرتبكة فى منطقة الشرق الأوسط تدفع القوى الوازنة فى المنطقة إلى إعلاء صوت العقل وتقريب وجهات النظر والتوافق على تصالح المصالح، تركيا تعرف ذلك جيدًا وكذلك مصر، لذلك جاء هدف دفع علاقات التعاون الاستراتيجى والاقتصادى بين الجانبين كى يعلم العالم الذى يتصارع على كعكة البحر المتوسط أن لهذا الإقليم ساسة وقادة قادرين على حمايته وتحقيق مصالح أبنائه.

إعلان مصر وتركيا موقفًا موحدًا فى قضية العدوان الإسرائيلى على غزة ورفضهما تصريحات نتنياهو المعادية لمصر بشأن محور فيلادلفيا ووضوح المواقف المصرية التركية حول ليبيا والسودان والصومال وغزة، هذا الوضوح العادل له من القدرة على إطفاء براميل البارود المحيطة بالحدود المصرية، وله من القدرة على تحقيق المصالح التركية فى قضية الغاز بالبحر المتوسط وإطفاء النيران المشتعلة بين دمشق وأنقرة من خلال دور مصرى مرتقب.

هذه زيارة عنوانها الكبير يأتى فى كلمتين «الكل رابح»، لذلك هى زيارة تاريخية بامتياز، وشهادة عن احترافية مدرسة الدبلوماسية الخارجية فى كل من مصر وتركيا، لأنها أحبطت أزمة بين البلدين طالما حاول الخصوم تفجيرها.

ياسر شورى

الرئيس فى تركيا.. زيارة ليست تاريخية فقط

لا أميل إلى المصطلحات السياسية المعلبة مثل وصف زيارة الرئيس السيسى لتركيا بأنها تاريخية وفقط دون تحديد المعنى والعائد من وراء الزيارة.

والحقيقة إن زيارة الرئيس السيسى لتركيا جاءت بعد قطيعة دبلوماسية منذ ١١عامًا بعد سقوط حكم الإخوان، وتلك القطيعة بدأها أردوغان بشكل انفعالى وتسببت تلك القطيعة بخسائر كبيرة لتركيا، وهو ما دفعها فى النهاية إلى السعى إلى التقارب من مصر.. ولأن السياسة ليست بها عداء دائم أو صداقة دائمة، فإن المصالح بين مصر وتركيا أكبر من أى شىء يعكر صفوها، خاصة أن البلدين لهما وزن كبير فى منطقة الشرق الأوسط، وهناك ملفات مشتركة لا يمكن تحقيق أى طرف لإنجاز كبير فيها دون الآخر

تركيا بالطبع لديها أجندة مصالح تسعى لتحقيقها من خلال التقارب مع مصر، منها أن مصر هى البوابة لأى دبلوماسى تركى فى البحر المتوسط أو ليبيا أو حتى إفريقيا بشكل عام وكانت قبل القطيعة تستفيد من اتفاقية الموانئ مع مصر من خلال نقل البضائع من ميناء مرسين التركى إلى الموانئ المصرية ونقلها بريًا بعد ذلك إلى إفريقيا.

ومصر بطبيعة الحال لديها أجندة اقتصادية سياسية مع تركيا وتريد جذب استثمارات تركية وهو ما تم بالفعل من خلال توقيع عدد كبير من الاتفاقيات وتتويج كل ذلك بتدشين مجلس العلاقات الاستراتيجية المصرية التركية وهو أعلى مستوى من العلاقات بين الدول منها

الاستقبال الرسمى الذى تم للرئيس السيسى والحفاوة الكبيرة تكشف عن جدية الجانب التركى وانتظاره هذه اللحظة التاريخية ومن قبلها كانت زيارة الرئيس أردوغان للقاهرة واستقبل بنفس الحفاوة.

بعد عودة العلاقات بشكل كامل بين القاهرة وأنقرة بالتأكيد على جماعة الإخوان المسلمين أن تعيد حساباتها بعد أن فقدت أهم حليف لها للأبد.

وفى رأيى أنه ليس أمام تلك الجماعة إلا أن تعلن عن حل نفسها إذا أرادت لأعضائها أن يعيشوا بيننا كمصريين، وأن ما تطرحه تلك الجماعة من عدم ممارسة السياسة مقابل خروج أعضائها من السجون لا يكفى،لا ممارسة لسياسة ولا دين، والحل هو الحل.

فوجود الإخوان داخل مصر دون سياسة سوف يعيدنا لمربع مبارك والعمل تحت الأرض.

لا توجد دولة فى العالم تسمح بأن تتحول جماعة إلى دولة داخل الدولة لديها «أسر» وتنظيمات وأعتقد أن مصر وشعبها قد لفظوا تلك الجماعة تمامًا، وقرارات حلها الرسمية صدرت أكثر من مرة وعلى التنظيم الدولى أن يعلن حلها فى مصر.

الحقيقة أن جماعة الإخوان المسلمين تمتاز بالغباء على مدار تاريخها وتراهن فقط على نسيان المصريين لجرائمها وصناعة مظلومية عندما تحين لها الفرصة لذلك، وسوف تبقى مثالًا للفشل المستمر.

الصفعة التى تلقتها تلك الجماعة مع زيارة الرئيس السيسى لتركيا ستحاول امتصاصها والكمون وسوف تحاول تخريب العلاقات المصرية التركية دون جدوى.

زيارة الرئيس السيسى لتركيا جاءت بعد قطيعة دبلوماسية منذ ١١عامًا بعد سقوط حكم الإخوان

منى رجب

نقطة تحول جديدة فى العلاقات بين مصر وتركيا

من المؤكد أن زيارة الرئيس عبدالفتاح السيسى التاريخية، الأربعاء الماضى، تركيا تعتبر نقطة تحول فى تاريخ العلاقات بين مصر وتركيا، والذى يكاد يصل لمائة عام، وهى بالفعل قد فتحت آفاقًا جديدة للعلاقات الثنائية بينهما، كما ستفتح الباب لشراكة قوية فى ملفات مهمة ثنائية ولقضايا إقليمية وعالمية تهم كلا البلدين، وسيكون لها تأثيرها فى القضايا المحورية فى العالم فى المرحلة المقبلة.

فى تقديرى أن الاستقبال الرسمى الحافل والحفاوة البالغة التى قوبل بها الرئيس عبدالفتاح السيسى، وحرص الرئيس أردوغان على إنجاح هذه الزيارة وما ترتب عليها من اتفاقيات وتفاهمات وتعاون، يؤكد أننا سنشهد تحولات فى منطقتنا قريبًا. وأتوقف بشكل خاص عند حرص الرئيس أردوغان على احترام زيارة الرئيس السيسى لدوره المحورى فى عمليات السلام والعدل فى العالم، ودور الوساطة الذى يقوم به مع قطر وأمريكا فيما يتعلق بحرب غزة وتوصيل المساعدات الإنسانية، خاصة أن الرئيس التركى قد أمر بتعليمات مشددة لجبهة إسطنبول الإخوانية بعدم التعرض بالنقد أو إبداء أى ملاحظات معارضة لزيارة الرئيس السيسى تركيا.

كما توعد المخالفين بتطبيق عقوبات شديدة عليهم، وكذلك تعليماته بعدم نقد الزيارة على مواقع التواصل الاجتماعى أو المنصات، ما يعكس فى تقديرى، بما لا يدع مجالًا للشك، إدراك الرئيس التركى أهمية دور مصر، والدور المحورى الذى يقوم به الرئيس السيسى فى كل الملفات والقضايا الساخنة فى العالم. كما أعرب عن سعادته بزيارة الرئيس السيسى الرسمية لتركيا، وذلك فى كلمته فى المؤتمر الصحفى الذى تم عقده للرئيسين عقب توقيع الاتفاقيات المشتركة بين البلدين.

وتعتبر هذه الزيارة خطوة جديدة تستكمل البناء على ما تم الاتفاق عليه فى أول زيارة رسمية للرئيس التركى لمصر فى فبراير الماضى، بعد قطيعة لأكثر من ١١ عامًا بين البلدين.. كما تعتبر هذه الزيارة تاريخية؛ حيث إنها أول زيارة يقوم بها الرئيس عبدالفتاح السيسى لتركيا منذ توليه الرئاسة فى مصر، بدعوة من الرئيس التركى، وهى تأتى فى إطار توقيت مهم للغاية مع تصاعد الحرب فى غزة، ولحجم كلا البلدين فى مجريات الأحداث العالمية، وفتح الباب للتشاور والتعاون فى عدة ملفات، ما يعزز من قوة موقفهما فى الأحداث العالمية. وتأتى الزيارة أيضًا مع قرب مرور مائة عام على بدء العلاقات بين الدولتين، ما يجعلها فى تقديرى خطوة كبيرة فى تعميق العلاقات الثنائية بين البلدين، والاحتفال بمئوية العلاقات فى العام المقبل بشكل يعزز من العلاقات بشكل أكبر بما يمكن أن يكون نواة لتحالف قوى يكون له تأثير كبير فى مجريات الأمور الدولية.

وفى تقديرى أن ملف الحرب فى قطاع غزة كان من أهم الأسباب التى تطرق إليها الحوار بين الرئيسين، حيث إن لهما موقفًا مشتركًا، وقد اتفق الرئيسان على إعلانه بشكل واضح عقب توقيع الاتفاقيات، وأكد عليه كلا الرئيسين فى كلمتيهما، حيث شددا على ضرورة وقف الحرب فى قطاع غزة فورًا ووقف الإبادة الجماعية التى تقوم بها إسرائيل للفلسطينيين فى قطاع غزة، وإعلان دولة فلسطين وعاصمتها القدس، وعودة إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧، ووضع العالم أمام مسئوليته فى إيقاف الحرب، وما يهدف إليه أو يستهدفه الرئيسان من حيث وقف إطلاق النار الفورى فى قطاع غزة، وتوصيل المساعدات الإنسانية والمعيشية للفلسطينيين.

ومن أهم ما نتج عن هذه الزيارة، ويعتبر إيذانًا بمرحلة جديدة فى تعميق العلاقات الثنائية بين البلدين، عقد اجتماع مغلق أولًا بين الرئيسين، ثم بعده عقد اجتماع مجلس التعاون الاستراتيجى رفيع المستوى بين البلدين، وتوقيع ٢٠ اتفاقية مشتركة تتضمن ملفات مهمة وحيوية، ومنها الدفاع والطاقة، خاصة الغاز الطبيعى والطاقة النووية، والاقتصاد والاستثمار والسياحة والبيئة والتعليم والصحة والثقافة، ورفع مستوى التجارة بين البلدين من ١٠ مليارات دولار فى السنة إلى ١٥ مليار دولار.

لا شك أن هذه الزيارة بنتائجها التى ذكرتها الآن تعتبر نقطة تحول فى تعميق العلاقات الثنائية بين البلدين، وستكون لها تأثيراتها الواضحة فى مجريات الأحداث فى المنطقة وفى الضغط على إسرائيل لوقف الإبادة الجماعية للفلسطينيين- حيث بلغ عدد الوفيات من الشعب الفلسطينى حتى الآن ما يقرب من ٤١ ألفًا- وفى توصيل المساعدات للفلسطينيين الذين يعانون سياسة التجويع والعطش ووحشية إسرائيلية تجاوزت كل ما نعرفه من جرائم فى تاريخ البشرية، ونأمل أن تكون هذه الزيارة إيذانًا بمرحلة ازدهار وسلام وتعاون بين كلا البلدين.

تعتبر هذه الزيارة خطوة جديدة تستكمل البناء على ما تم الاتفاق عليه فى أول زيارة رسمية للرئيس التركى لمصر فى فبراير الماضى

محاسن السنوسى

زيارة «السيسى» لتركيا تؤسس لمرحلة جديدة بين البلدين

مصر دولة سلام وداعية لأمن واستقرار الشعوب.. قيادات مصر وشعبها ترحب بمن يرد السلام بسلام، لاخلاف دائمًا ولا صداقة إلا وتمر بصعود وهبوط من آن لآخر وفقًا لمصالح الدول ورؤية القيادة السياسية التى تسعى دائمًا الحفاظ على أمن وسلام أوطانها.. من هذا المنطلق كانت زيارة الرئيس المصرى عبدالفتاح السيسى لدولة تركيا.

لفت انتباه الجميع تحية الرئيس المصرى على حرس الشرف التركى «شكرًا عسكر»، هذه التحية عمرها ١١٤ عامًا بدأت من عهد «أتات تورك»، حين قال لجنوده «مرحبًا عسكر»، يأتى ردهم «شكرًا سيدى» إلى أن أصبحت برتوكولًا منبعًا لدى الحرس التركى. هذه التحية لفتت انتباه الشعب التركى واشتعلت بها وسائل التواصل الاجتماعى، خاصة أن آخر زيارة للرئيس «السيسى» كانت منذ ١٢ عامًا.. زيارة رحب بها الشارع التركى إلى جانب ترحيب القيادات السياسية، فالشعب التركى له ارتباط وثيق بالشعب المصرى فى جوانب عدة أهمها التبادل التجارى بين البلدين الذى لم ينقطع عبر قرون طويلة.

مصر وتركيا قررا رفع مستوى العلاقات بين البلدين، ذلك بعودة التمثيل الدبلوماسى منذ عامين ما مهد الطريق لزيارة الرئيس التركى رجب طيب أردوغان فبراير الماضى، ثم جاءت الزيارة التاريخية للرئيسى «السيسى» فى وقت يمر فيه الإقليم الذى يضم البلدين حالة من عدم الاستقرار تحتاج لرؤية حكيمة تعمل على تهدئة المنطقة والتوصل لمسار سياسى يعمل على تحقيق أمن واستقرار حياة الشعوب.

للزيارة أهمية فى هذا التوقيت.. إنها تؤسس لمرحلة جديدة للعلاقات بين الدولتين، خاصة فى القضايا المشتركة والملفات العالقة، فمن المؤكد أن تبادل وجهات النظر الثنائية حول القضايا الإقليمية الراهنة، خاصة الحرب الإسرائيلية على غزة محل اهتمام الرئيس المصرى ونظيره التركى، لا سيما أن موقف مصر الذى يسعى إلى التهدئة ووقف إطلاق النار وإنهاء المأساة الإنسانية فى قطاع غزة.. قضايا الإقليم المشتعلة لم تتوقف عند حرب إسرائيل على غزة، هناك أيضًا ملف له أبعاد ثنائية مشتركة وهو الملف الليبى المعقد محل اهتمام الرئيسين، خاصة أن الرئيس التركى يلعب دورًا مهمًا فى إنهاء الخلافات الليبية الليبية، وأن التدخل التركى يأتى بناء على العلاقة القوية بين «عبدالحميد الدبيبة» رئيس الوزراء الليبى و«طيب أردوغان» وحالة التناغم بينها قد تعجل بإنهاء الخلافات وتحقق الاستقرار فى الداخل الليبى. كما أن التوترات الحادثة فى السودان والصومال ذات اهتمام مشترك وتشكل الدبلوماسية المصرية والتركية تأثيرًا كبيرًا قد تعجل من إنهاء الصراع والحرب الأهلية فى السودان.

> بعد يومين من زيارة الرئيس المصرى لدولة تركيا يمكننا القول إنها زيارة حققت أهدافًا ومصالح مختلفة

بعد يومين من زيارة الرئيس المصرى لدولة تركيا يمكننا القول إنها زيارة حققت أهدافًا ومصالح مختلفة فى فتح صفحة جديدة بين البلدين، إذ تعد مصر الشريك الأول فى الجانب الاقتصادى فى القارة الإفريقية، حيث تم توقيع نحو ٢٠ اتفاقية تعاون بين البلدين وزيادة حجم التبادل التجارى بما يبلغ ١٥ مليار دولار، كما كانت قضية تصدير الغاز الطبيعى المسال حاضرة على الأجندة الاقتصادية، وعلى جانب الدفاع المشترك تم الاتفاق على زيادة صادرات تركيا من الطائرات بدون طيار، هذا فضلًا عن زيادة الصادرات المصرية لتركيا من المحاصيل الزراعية والمنتجات الأخرى.

التقارب بين البلدين ينعكس بشكل إيجابى على الإقليم وعلى الدولتين، ومن هنا يمكننا القول إن هذه الزيارة جاءت فى توقيت مناسب، وزيارة تعلن عن موقف موحد بشأن قضايا الإقليم، بما يؤكد أن مصر دولة راعية وداعمة لاستقرار الدول وأمن وسلام الشعوب.

جلال حمام

مصر فى الصومال.. لحفظ أمنها وتدريب جيشها

فى الوقت الذى أكد المتحدث باسم جامعة الدول العربية «رفض وإدانة أى مذكرات تفاهم تنتهك سيادة الدولة الصومالية، أو تحاول الاستفادة من هشاشة الأوضاع الداخلية الصومالية، أو من تعثر المفاوضات الصومالية».. أكدت مصر، فى بيان أصدرته وزارة الخارجية «ضرورة الاحترام الكامل لوحدة وسيادة جمهورية الصومال الفيدرالية على كامل أراضيها»، مشددةً على معارضتها أى إجراءات من شأنها الافتئات على السيادة الصومالية، كما حذرت من خطورة تزايد التحركات والإجراءات والتصريحات الرسمية، الصادرة عن دول فى المنطقة وخارجها، التى تقوِّض عوامل الاستقرار فى منطقة القرن الإفريقى، وتزيد من حدة التوترات بين دولها.. إذ أن الاتفاق بين إثيوبيا وأرض الصومال يضع المنطقة فى مواجهة أزمة قانونية، تستدعى الرجوع للقانون الدولى، وهذا ما ظهر جليًا فى موقف مجلس الوزراء الصومالى، الذى أصدر بيانًا مفصلًا فى هذا الشأن.. ولا يقتصر الأمر فقط على البُعد القانونى، بل يمكن أن تكون له امتدادات استراتيجية، فى ظل وجود حزمة من القواعد العسكرية فى جيبوتى تتبع لحلف شمال الأطلسى «ناتو» والصين، بجانب سعى كل من روسيا الاتحادية وتركيا للوجود فى البحر الأحمر، ووصول قوات بحرية تابعة لتحالف «حارس الازدهار» الذى تقوده الولايات المتحدة، بعد العمليات التى قام بها الحوثيون، وهو ما يشير إلى أن هناك تحالفًا مكثفًا يجرى تشكله فى المنطقة.

مصر فى الصومال.. لحفظ أمنها وتدريب جيشها

إذن، فإن «عسكرة البحر الأحمر» الآن، وبهذه الكثافة والسرعة، تعنى بشائر استباقية لفكرة الاستحواذ الاستراتيجى على المنطقة، وتشير الاحتمالات إلى «حروب إقليمية برافعة دولية» من الأقطاب فى منطقة بوابة خليج عدن، لا سيما أن منطقة أرض الصومال تمثل هدفًا استراتيجيًا للملاحة الدولية التجارية، تم اختبار أهميته إبان تفكك الدولة الصومالية فى مرحلة سابقة.. وتوجد بمنطقة مدخل البحر الأحمر العديد من القواعد العسكرية التابعة للعديد من القوى الدولية والإقليمية، فتضم جيبوتى وحدها ست قواعد عسكرية أجنبية، بينها أكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى إفريقيا، والقاعدة العسكرية الوحيدة للصين خارج حدودها، وأول قاعدة عسكرية خارجية لليابان منذ الحرب العالمية الثانية، وأهم وحدة عسكرية فرنسية فى إفريقيا، كما تضم قواعد لإسبانيا وإيطاليا، فى حين تسعى دول، مثل روسيا وتركيا، إلى امتلاك وجود عسكرى بحرى، عبر التعاون مع دول المنطقة.

وتسعى هذه الدول، من خلال قواعدها العسكرية، إلى حماية مصالحها الاستراتيجية فى المنطقة، وتوسيع نفوذها السياسى والعسكرى، إلى جانب الأهداف المعلنة، كالتصدى لظاهرة القرصنة ومكافحة الإرهاب، وتأمين الطريق التجارية البحرية المارة بالبحر الأحمر.. ويُعد الاتفاق الأخير بين إثيوبيا وأرض الصومال، «غير الشرعى»، تجسيدًا لحالة الاضطراب التى تعيشها منطقة القرن الإفريقى خلال السنوات الأخيرة، بفعل تحالفات معلنة وأخرى غير معلنة، بين قوى إقليمية ودولية تتسابق لامتلاك النفوذ فى المنطقة.. ولنا هنا أن نربط بين الاتفاق الأخير بين إثيوبيا وأرض الصومال، وما يجرى فى السودان وغزة، والعمليات التى ينفذها الحوثيون فى البحر الأحمر، وتشكيل تحالف بحرى جديد فى منطقة مكتظة بالوجود العسكرى الدولى.. فكل ذلك يعطى مؤشرات على اتجاه الأمور نحو تصعيد وتوتر لا يستبعد أن يقود إلى مواجهات عسكرية أو تنامى الاضطرابات الأمنية، فى ظل ما تعانيه المنطقة من «هشاشة» سياسية وأمنية فى العديد من دول المنطقة.

إن محاولة تغيير الجغرافيا الإقليمية فى منطقة القرن الإفريقى والبحر الأحمر «بالغة الحساسية» قد تنتهى إلى مواجهات عسكرية مباشرة بين دول المنطقة، أو غير مباشرة بين قوى دولية، باتت هذه المنطقة تحظى بأولوية كبيرة فى مساعيها، لتمديد نفوذها والسيطرة على محاور التجارة العالمية.. وقد سعت إثيوبيا، الدولة الحبيسة، منذ ثلاثة عقود، للحصول على منفذ على البحر، بعدما خسرت ساحلها الطويل على البحر الأحمر، جراء استقلال إريتريا عنها، بعد حرب طويلة، وتعتمد إثيوبيا حاليًا فى صادراتها وواردتها على ميناء جيبوتى.. ووصف رئيس الوزراء الإثيوبى حاجة بلاده إلى منفذ بحرى، بأنها مسألة «وجودية»، وقال فى أكتوبر الماضى، عبر خطاب تليفزيونى، إن الحصول على ميناء فى البحر الأحمر ضرورى ليخرج مائة وعشرون مليونًا من مواطنيه من «سجنهم الجغرافى»، على حد وصفه.

مصر أولى الدول التى تنشر قوات لدعم الجيش الصومالى بعد انسحاب قوات الاتحاد الإفريقى

وهنا ينشأ السؤال: ماذا تستهدف مصر من حضورها العسكرى فى الصومال؟

أثار حديث صومالى عن بدء وصول معدات ووفود عسكرية مصرية إلى مقديشو، تساؤلات عن أهداف وتداعيات الحضور العسكرى المصرى المتوقع فى الصومال، فى ضوء بروتوكول تعاون دفاعى بين البلدين وتوتر متصاعد مع إثيوبيا.. هناك من يرى أن تلك الخطوة تستهدف تعزيز العلاقات بين البلدين عبر «تطبيق الاتفاقيات على أرض الواقع»، بعد موافقة الحكومة الصومالية، خلال «اجتماع استثنائى» لمجلس الوزراء، على اتفاقية دفاعية بين مصر والصومال، إذ أن الوجود العسكرى المصرى «سيكون لتدريب القوات الصومالية والمشاركة فى قوات حفظ السلام»، فى ضوء محددات أبرزها «دعم مقديشو فى مواجهة الإرهاب والحفاظ على وحدة أراضيها».. وهناك أيضًا من يرى أنها «إجرائية ولا تستهدف أى تصعيد»، وآخرين قالوا إنها «ستحمل تعقيدات جديدة مع إثيوبيا، المتوترة علاقاتها مع مصر بشأن سد النهضة الإثيوبى، ومع الصومال بشأن وجودها فى ميناءٍ تراه مقديشو يهدد سيادتها».

وحسب صحيفة «الصومال الجديد» فقد وصلت طائرتان عسكريتان مصريتان إلى مطار «آدم عدى» الدولى فى العاصمة الصومالية مقديشو، على متنهما معدات عسكرية وضباط، ضمن إعادة تنظيم استراتيجى أوسع نطاقًا فى منطقة القرن الإفريقى، حيث يسعى الصومال إلى تعزيز قدراته العسكرية من خلال الشراكات الدولية.. هذا فى الوقت الذى تستعد فيه مصر للمشاركة فى بعثة الدعم التابعة للاتحاد الإفريقى فى الصومال AUSSOM، التى من المقرر أن تحل محل بعثة الاتحاد الإفريقى الانتقالية الحالية ATMIS، بحلول يناير القادم.

وبينما لم تعلق القاهرة، ثمّن سفير الصومال لدى مصر، على عبدى أوارى، «بدء وصول المعدات والوفود العسكرية المصرية إلى العاصمة الصومالية مقديشو، فى إطار مشاركة مصر بقوات حفظ السلام، وبذلك تكون مصر أولى الدول التى تنشر قوات لدعم الجيش الصومالى بعد انسحاب قوات الاتحاد الإفريقى

مصر فى الصومال.. لحفظ أمنها وتدريب جيشها

الحالية».. وعدّ السفير الصومالى هذه الخطوة بأنها «مهمة وأولى الخطوات العملية لتنفيذ مخرجات القمة المصرية الصومالية» التى عُقدت فى القاهرة مؤخرًا بين الرئيسين، عبدالفتاح السيسى وحسن شيخ محمود، التى شهدت توقيع اتفاق دفاعى مشترك بين البلدين، حيث كشف الرئيس السيسى، فى المؤتمر الصحفى المشترك بالقاهرة مع نظيره الصومالى، أنه «فى هذا العام سيتم تجديد بعثة حفظ السلام فى الصومال، وسنتقدم للمشاركة فى هذه البعثة، والأمر متروك للدولة المضيفة الصومال، إن كانت ترغب أن نكون موجودين فسنكون».

وتستهدف مصر من حضورها العسكرى فى الصومال ثلاثة محددات، كما يرى الخبير الاستراتيجى، اللواء سمير فرج: أولًا مساعدة الجيش الصومالى ورفع كفاءته القتالية للتعامل مع عمليات «منظمة الشباب» الإرهابية، عبر الخبرات الكبيرة للجيش المصرى، وثانيًا، دعم وحدة الأراضى الصومالية برفع كفاءة قواتها المسلحة، وثالثًا، تعزيز مشاركة مقديشو فى تأمين قناة السويس من باب المندب.. واستبعد أن يكون الوجود المصرى مرتبطًا بالتوازن العسكرى مع دولة أو أخرى موجودة هناك، ودلّل على ذلك، بعدم وجود قواعد عسكرية مصرية هناك، كما هو حال الآخرين، متوقعًا ألا يثير هذا الأمر أى تداعيات، خصوصًا أن الصومال دولة عربية طلبت حضور مصر بقوات حفظ السلام وسط علاقات استراتيجية للبلدين.

وتتفق مع هذا الرأى، مساعدة وزير الخارجية المصرى للشئون الإفريقية الأسبق، السفيرة منى عمر، مؤكدة أنها تأتى فى سياق ما بعد توقيع اتفاقية الدفاع المشترك، وستشمل دعم مصر للقوات الصومالية وتدريبها، وربما تزويدها بالسلاح لمواجهة الإرهاب هناك، حتى تستعيد مقديشو استقرارها.. لأن مصر لا تتدخل عسكريًا ولا تلجأ إلى القوة الخشنة، وهذا أسلوبها فى التعامل مع الأزمات، لذا سيكون الواقع فى الصومال قائمًا على التدريب والمساعدة والمشاركة فى قوات حفظ السلام.. فالصومال دولة استراتيجية لمصر، ويجب أن تتعاونا معًا، خصوصًا أن لهما مواقف مشتركة «رافضة للتحركات الإثيوبية الجديدة تجاه مقديشو أو الأمن المائى المصرى»، ومصر مشاركة بقوات حفظ سلام منذ سنوات طويلة فى الصومال، وبالتالى، فهذا التعاون الجديد مبنى على علاقات البلدين وأهمية دعم استقرار مقديشو.

■■ وبعد..

فإن تلك المساعدات المصرية تعد خطوة مهمة جدًا فى إطار تعزيز العلاقات المصرية الصومالية، وتؤكد حضور القاهرة فى الصومال، فى ظل تنامى دور إثيوبيا وتركيا وغيرهما من الدول، وكانت مقديشو بحاجة إلى تلك الخطوة، لإعادة تأهيل القوات الأمنية والعسكرية وإرسال رسائل إلى الجانب الإثيوبى، بأنها «لديها شركاء أقوياء ولا يمكن الاستهانة بها».. ولكن، تداعيات ذلك الحضور ستكون، بلا شك، معقدة، ومرد ذلك إلى عدم تقبل الجانب الإثيوبى هذه الخطوة، فى ظل توتر علاقاته مع مصر، بشأن ملف سد النهضة خصوصًا أنه سيفهم الحضور المصرى، على أنه رسالة من مصر تفيد بأنها لن تقف مكتوفة الأيدى تجاه أى تهديد لأمنها المائى، فى ظل وجود خلافات بين مصر والسودان من ناحية، وإثيوبيا على الجهة الأخرى، بشأن السد الذى تبنيه إثيوبيا على فرع النيل الأزرق، الذى تقول القاهرة والخرطوم إنه سيؤثر بشكل كبير فى حصتيهما من مياه النيل، وتتمسكان بالتوصل أولًا إلى اتفاق ملزم مع أديس أبابا، بشأن ملء وتشغيل السد، لضمان استمرار تدفق حصتيهما المائية من نهر النيل، وهو ما تنفيه إثيوبيا، وتؤكد أنها لا تستهدف الإضرار بدولتى مصب النيل.. حفظ الله مصر من كيد الكائدين.. آمين.

> مصر لا تتدخل عسكريًا ولا تلجأ إلى القوة الخشنة وهذا أسلوبها فى التعامل مع الأزمات

أسامة عبدالرءوف الشاذلى

قراءة فى تاريخ فلسطين: عزرا الكاتب «4»

لم تلعب شخصية يهودية دورًا محوريًا فى التاريخ الدينى والسياسى لليهود مثلما فعل «عزرا الكاتب». وإذا كان «تيودور هرتزل»، الصحفى النمساوى، يعتبر المؤسس الحقيقى لدولة إسرائيل فى العصر الحديث، بفضل ترسيخه مبادئ وأفكار الحركة الصهيونية، فإن عزرا الكاتب يعتبر المؤسس الحقيقى للديانة اليهودية الجديدة، أو نسخة ما بعد السبى، القائمة على الانعزالية الدينية، وفصل معتنقى الديانة اليهودية عن باقى البشر، ومنحهم الأفضلية البشرية على الآخرين، فى القرن الرابع قبل الميلاد. وهو الأمر الذى عارضه أنبياء كثر ظهروا فى تلك الفترة، مثل زكريا ويونان وراعوث، الذين جاءت أسفارهم كنشرة تحذير ضد هذه التعاليم، وهو نفس التحذير الذى حذره السيد المسيح لأتباعه من الكتبة اليهود الذى تمادوا أكثر فى عهده، فقال عنهم «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ؛ لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ»، متى ٢٣.

كان عزرا الكاتب أو عزريا، أحد مواليد الجيل السادس من السبى البابلى الذى وصل إلى مكانة مرموقة فى عهد الملك الفارسى الرابع أرتحشستا الذى حكم البلاد ما بين عامى «٤٠٤ ق. م- ٣٥٨ ق. م»، فعمل بالقضاء، ثم أصبح مستشارًا لشئون الجالية اليهودية الموجودة فى بلاد ما بين النهرين. وتاريخ عزرا ونسبه موجود فى الكتاب المقدس فى سفر خاص باسمه هو «سفر عزرا». وتشير بعض كتب التفسير الإسلامية إلى أن عزرا هو نفسه «عزير»، الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة التوبة « وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ»، حيث بلغت مكانته حدًا كبيرًا من التقديس بين الشعب اليهودى جعلتهم يضعونه فى مرتبة أعلى من البشر. وبتحليل شخصية «عزرا الكاتب»، كما ورد فى سفره، يتضح لنا أنه كان شابًا شديد الذكاء والطموح، ملمًا بشريعة موسى، عنده قدر كبير من المثابرة، وقدرة كبيرة على الإقناع لدرجة أنه استطاع أن يحصل على مرسوم يسمح بعودة جميع اليهود من السبى البابلى إلى أورشليم ومعه قرار تهديدى لجميع الطوائف اليهودية يمنحه سلطة مطلقة، ويجبر الجميع على الانصياع لأوامره وأن كل من يخالف هذه الأوامر يقضى عليه بالموت أو النفى أو الغرامة أو الحبس، ويتضح ذلك فى رسالة الملك التى منحها لعزرا وهو يخاطبه متودداً:

«أَمَّا أَنْتَ يَا عَزْرَا، فَحَسَبَ حِكْمَةِ إِلهِكَ الَّتِى بِيَدِكَ ضَعْ حُكَّامًا وَقُضَاةً يَقْضُونَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ وَكُلُّ مَنْ لاَ يَعْمَلُ شَرِيعَةَ إِلهِكَ وَشَرِيعَةَ الْمَلِكِ، فَلْيُقْضَ عَلَيْهِ عَاجِلاً إِمَّا بِالْمَوْتِ أَوْ بِالنَّفْىِ أَوْ بِغَرَامَةِ الْمَالِ أَوْ بِالْحَبْسِ»، عزرا ٧: ٢٥.

وكانت أولى المهام التى قام بها عزرا الكاتب بعد العودة، هى تطهير الأرض من النساء الغريبة، ويقصد بهن زوجات الرجال اليهود من غير اليهوديات واللائى وصفن فى سفره بنساء شعوب الأرض الرجسة، وشملت بالطبع نساء الكنعانيين، واليبوسيين، والموآبيين، والمصريين والحيثيين. وحين تقاعس الرجال فى الانفصال عن زوجاتهم لجأ «عزرا» إلى القيام بمشهد تراجيدى أخاف الناس، حيث يقول فى سفره «فَلَمَّا سَمِعْتُ بِهذَا الأَمْرِ مَزَّقْتُ ثِيَابِى وَرِدَائِى وَنَتَفْتُ شَعْرَ رَأْسِى وَذَقْنِى» عزرا ٩: ٣، ثم جثى على ركبته وأعلن الحكم الإلهى الذى لا يجوز الخروج عنه «وَالآنَ فَلا تُعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ وَلاَ تَأْخُذُوا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلاَ تَطْلُبُوا سَلاَمَتَهُمْ وَخَيْرَهُمْ إِلَى الأَبَدِ،» عزرا ٩: ١٢.

وربما كانت تلك الحادثة هى أكبر عملية طلاق قسرى وقعت فى التاريخ، فقد أطلق عزرا نداءً فى جميع أنحاء يهوذا، يدعو كل المتزوجين من أجنبيات إلى أورشليم، ومنهم رجال رزقوا بأطفال من زوجاتهم، وكانت أعدادهن بالآلاف، ومن لا يحضر فى خلال ثلاثة أيام تصادر أمواله، وينفى خارج البلاد. وحاول بعض الرجال المماطلة بحجة المطر، أو بحجة التزاحم وكثرة العدد، ولكن القرار الصارم الذى أصدره عزرا لم يسمح لهم بالفكاك من المصير المحتوم، وبالفعل طُلِّقت جميع النساء الأجنبيات فى يوم واحد ورحلن بأولادهن عن البلاد بلا رجعة، وبهذه تحققت مهمته الأولى بنجاح، أو كما قال «وَانْتَهَوْا مِنْ كُلِّ الرِّجَالِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا نِسَاءً غَرِيبَةً فِى الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ»، عزرا ١٠: ١٧.

وبعد أن اطمأن عزرا إلى نقاء الجنس اليهودى وخروج العنصر الأجنبى، شرع فى كتابة تعاليم التوراة، ونقلها من مرحلة المرويات الشفهية المشوشة، أو النصوص المبتورة، إلى مرحلة وضع كتاب شامل منضبط يجمع بين دفتيه تعاليم الكتاب المقدس كاملة. ويتفق الباحثون عمومًا على أن التوراة الحالية أكبر بكثير من تعاليم موسى التى كتبها على الألواح أو التى أمر خليفته يوشع بن نون بتدوينها على نقش حجرى بعد عبور نهر الأردن. ويرى سبينوزا فى كتابه «رسالة فى اللاهوت والسياسة» أن الأدلة تمنع أن يكون موسى هو كاتب الأسفار الخمسة، وأن عزرا هو كاتبها، ويتفق مع وول ديورانت فى أن عزرا كان متشبعًا بالثقافة البابلية، ولديه أيضًا توجهات أيديولوجية وعرقية كانت تحكمه فى كتابة التوراة. فقصص الخلق، والطوفان، والغواية، والنظرة العنصرية للمرأة، والتعامل مع الطهارة والنجاسة، هى نتاج ثقافة عزرا الكاتب نفسه التى استمد مصادرها من روافد عدة أهمها حياته فى بلاد الرافدين. ويتفق الباحثون على أن عملية جمع التوراة وتدوينها قد تمت فى فترة وجيزة جدًا، ويعزى سبينوزا وجود بعض المتناقضات بين الأسفار إلى الموت المبكر لعزرا الكاتب الذى لم يتسن له الوقت الكافى لمراجعة ما قام بكتابته. وبعيدًا عن مناقشة المصادر الأساسية للتوراة التى ناقشتها الكثير من المباحث اللاهوتية، سوف نركز على أهم المبادئ التى كرّستها نصوص التوراة الجديدة فى مرحلة ما بعد السبى. وتنقسم إلى شق عقائدى، وآخر قومى. جاء الشق العقائدى فى صورة الإله يهوه، إله اليهود، وهو إله شديد الخصوصية والقومية لبنى إسرائيل، لا يهتم لباقى الشعوب، ولا يهمه أن يدخل إلى حظيرة الإيمان مؤمنون جدد. يتسامح مع الخطايا التى ترتكب فى حق الشعوب الأخرى ولا يتهاون فى حق بنى إسرائيل، ويتضح ذلك فى وعد يهوه لإسحق: «لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ. لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ»، تكوين ٢٧: ٢٩، ويتضح أيضًا بصورة أكثر تجسيد فى وعد يهوه ليعقوب «يَا إِسْرَائِيلُ: لاَ تَخَفْ لأَنِّى فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِى إِذَا اجْتَزْتَ فِى الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ، وَفِى الأَنْهَارِ فَلاَ تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِى النَّارِ فَلاَ تُلْذَعُ، وَاللَّهِيبُ لاَ يُحْرِقُكَ» إشعيا ٤٣، فالعلاقة بين الإله والشعب، كما يقول توماس طومسون فى كتاب التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى، أصبحت مقلوبة، فبينما يسعى الإله لإرضاء الشعب، يقابله الشعب بالتذمر والتمرد الدائمين. وقد رسخت هذه العقيدة فكرة الاستعلاء والتميز لدى الشعب اليهودى وأسطورة شعب الله المختار المستمرة حتى الآن.

> بتحليل شخصية «عزرا الكاتب» الأدلة تمنع أن يكون موسى هو كاتب الأسفار الخمسة، وأن عزرا هو كاتبها

أما الشق القومى الذى عمد عزرا الكاتب إلى تكريسه، من خلال الشرائع اليهودية والأحكام العامة، فهو ما سيتم تناوله فى المقال المقبل بمشيئة الله.

أحمد بهاء الدين شعبان

من غزة الصامدة إلى الضفةِ المُنتفضة!

يشى التطور الخطير الذى تشهده أوضاع حرب الإبادة الصهيونية للشعب الفلسطينى، الدائرة رحاها مُنذ أكتوبر الماضى، بتوسيع ميدان المعركة، وأهدافها الجيو سياسية، بما يتجاوز حدود قطاع غزة ومزاعم الانتقام لضحايا عملية «طوفان الأقصى»، امتدادًا إلى أبعاد استراتيجية أخرى، أوسع وأشمل، فمجال الحرب الآن يتجه لكى يشمل كامل التراب الفلسطينى المحتل، ويتحرك باتجاه فرض الوصاية الصهيونية المُطلقة على أرض فلسطين التاريخية بقضها وقضيضها، فمساحة كل قطاع غزة تبلغ ٣٤٥ كيلومترًا مُربعًا، من أصل كامل أرض فلسطين الواقعة تحت نير الاحتلال الصهيونى، والبالغة ٢٢٠٠٠ كيلومترًا مُربعًا، والتى بات معظمها خاضعًا- بسياسة القهر والأمر الواقع- لسطوة القدم العسكرية الصهيونية، تحت سمع وبصر العالم كله.

وطبقًا للفضائيات ووكالات الأنباء، فهذه العملية العسكرية تُعد الأشمل والأوسع منذ عملية «السور الواقى» فى ٢٠٠٢، وتنقل عن مصادر إسرائيلية أنها «ستستمر وقتًا»، «بلا تحديد لسقف زمنى أو ميدانى»، وهو ما يعنى أن «إسرائيل»: «فتحت جبهة جديدة للحرب بالتزامن مع غزة ولبنان»، حيث أغلقت القوات الإسرائيلية مداخل مدينة جنين الرئيسية، ونشرت عددًا من القنّاصة، وأطلقت الرصاص تجاه مركبات الفلسطينيين، وطاردت الأهالى بالطائرات والصواريخ، كما قطع الجنود الإسرائيليون معظم الطرق الواصلة إلى مدينة جنين وفرضوا عليها حصارًا كاملًا. كما حاصر الجيش الإسرائيلى مستشفيات جنين الثلاثة، وأخرجها عن الخدمة عبر تجريف الشوارع المؤدية إليها وإقامة السواتر الترابية بمحيطها، وبدأت آلة الخراب الصهيونية فى بث مظاهر الموت والدمار فى أرجاء الضفة على نحو ما مارسته طوال المدة الفائتة فى غزة ورفح.

وقد نقلت القناة الرابعة عشرة الإسرائيلية عن مسئولين عسكريين إسرائيليين قولهم إن الوقت قد حان لـ«ضرب شمال الضفة الغربية واقتلاع جذور الإرهاب»، حسب زعمهم، وهى نفس الذريعة الوهمية التى يتكئ عليها كيان الإرهاب الصهيونى فى كل مرّة يتجه نحو التصعيد، وتسويغًا لتبرير كل فصلٍ جديدٍ من فصول الإبادة المنهجية لأوضاع ومُكونات شعب فلسطين الصامد.

ويؤكد كذب هذه الذريعة- ذريعة مجابهة ما يسمونه بـ«الإرهاب»- المُتكرر استخدامها كمبرر للعدوان الهمجى الدائم على فلسطين البشر والتراب مضمون التقرير الذى نشرته صحيفة «يديعوت أحرونوت» مؤخرًا، من أن العدو الصهيونى قد أنشأ منصبًا جديدًا فى جيش الاحتلال الصهيونى، لإدارة أمور قطاع غزة بالكامل، ولمدى زمنى مفتوح، و«سيتوسع» فى هذا المجال، ما يعنى بقاء نحو ٢ مليون فلسطينى رهن سيطرته، وأن «السيطرة والتدخل الإسرائيليين لن ينتهيا قريبًا». «المصرى اليوم، ٣٠ أغسطس ٢٠٢٤».

ومن الواضح أن نية العدو الصهيونى مُبيّتة لتدمير وإعادة احتلال كامل الأراضى الفلسطينية ووضعها تحت الهيمنة المُطلقة، فبعد هدم كل مُقومات البنية الأساسية لقطاع غزة، وإيقاع ما نعرفه من شهداء وضحايا، راح إرهابيو الإدارة الصهيونية يبحثون عن مسوغات تُبرر اتخاذ هذه الخطوة التدميرية الجديدة، فى ظل رفض شعبى عالمى لإرهاب الدولة الصهيونية، بتوجيه إصبع الاتهام إلى إيران مُجَدَّدًا، على لسان «يسرائيل كاتس» وزير خارجية الكيان، بالسعى «لإنشاء جبهة ضد إسرائيل فى الضفة الغربية، على غرار غزة ولبنان، من خلال تمويل وتسليح المقاتلين» حسب تعبيره، رغم أن كل شبر فى الضفة مُحاصر ومُراقب من الأجهزة الإرهابية الصهيونية، و«أن الضفة الغربية كانت تدار من قبل الجيش وهى خاضعة لوزارة الدفاع»، ورغم إجراءات «التنسيق الأمنى» بين العدو الصهيونى و«سلطة الحكم المدنى/ أبومازن»، والأخطر هو تأكيده عزم الجيش الإسرائيلى التعامل «مع هذا التهديد بنفس الطريقة التى يتم التعامل بها مع غزة، بما فى ذلك الإجلاء المؤقت للسكان»، وهو ما يُشير إلى نية العدو الصهيونى استكمال مُخططات ترويع المواطنين الفلسطينيين، وتمزيق أوصال نتف الأرض الفلسطينية المتبقية، لمصادرة أى إمكانية لحلٍ مُقترح بديلٍ، حتى لو كان حلًا هزيلًا لدويلة مسخٍ منزوعةِ الروحِ والسلاح.

ويُحدد مدير «المركز الوطنى للدراسات السياسية»، «منير الجاغوب»، لـ«سكاى نيوز عربية» أن: هذه العملية الإسرائيلية ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، وأن ما تُقدمه «إسرائيل» من حجج بشأن إيران والخلايا الإرهابية هى حججٌ واهية، يستهدف «نتنياهو» منها إضعاف السلطة الفلسطينية، وكسر هيبتها وصولًا إلى تقويضها والقضاء عليها «حتى يُصادر كل فرص النجاح-ولو على المستوى الشكلى- لـ«حل الدولتين» الذى تكرر الحديث عنه فى الفترة الأخيرة».

وبهذه العملية العسكرية الجديدة، التى ظاهرها ادّعاء استهداف النفوذ الإيرانى فى الضفة المحتلة، والتصدى لخطر الكتائب المُسلّحة التابعة لحماس والفصائل الأخرى، التى ظهرت على سطح المزاعم الصهيونية بين عشية وضحاها، يعود شبح التهديد الدائم الذى يواجهه الفلسطينيون، والمُتمثل باستئناف مُخطط طرد الفلسطينيين، أو «التهجير» خارج أرضهم، خاصةً فى ظل اتضاح أبعاد تواطؤ وعناية الولايات المتحدة والغرب للمجرم الصهيونى المُدلل، وعجز المؤسسات الأمميّة، «كالأمم المتحدة» وسواها، عن وضع حد لموجات الإرهاب الصهيونى المُستمرة منذ نحو العام، بما خلّفته من خراب وضحايا، وفى ظل عجز النظام العربى عن اتخاذ موقف مؤثر على مجريات الأمور، يتصدى لتصعيد حرب الإبادة الصهيونية للشعب الفلسطينى ومُخططات تصفية القضية الفلسطينية.

وهذا الخطر يتعاظم مع استفحال نفوذ اليمين الدينى الإرهابى على القرار الصهيونى وإدارة «نتنياهو»، وموقفه التصعيدى المعروف، وآخر فصوله العدوان الوقح على المسجد الأقصى، مما يُتيح دفع مشروع الإرهابى «سموتريتش»، وزير المالية، وصاحب «خطة الحسم» التى تستهدف تصفية الوجود الفلسطينى نهائيًا، إلى حيز التنفيذ، فى ظل التهافت الأمريكى والغربى على دعم المُخططات الإسرائيلية، وآخرها التساؤل الاستنكارى للمرشح الرئاسى «دونالد ترامب» عن «الحجم المحدود للدولة الإسرائيلية»!، بما يشى بعدم مُمانعته فى توسيع هذا المدى، بفرض الهيمنة الإسرائيلية على باقى الأراضى الفلسطينية المحتلة، على غرار مُباركته- إبان عهده الرئاسى- ضم مُرتفعات الجولان السورية المُحتلة إلى الحدود الإسرائيلية، والاعتراف بالقدس المُحتلة عاصمة للدولة الصهيونية المُغتصبة، فهو القائل: «عندما ننظر إلى خريطة الشرق الأوسط نجد أن (إسرائيل) بقعة صغيرة جدًا مُقارنةً بهذه الكتل الأرضية الضخمة. إنها حقًا بقعة صغيرة، وقد قلت ذلك بالفعل. هل هناك طريقة ما لتوسيعها لأنها صغيرة جدًا؟!».

وهكذا تكتمل ملامح الخطة الشريرة، التى يدفع «نتنياهو» وعصابته من القتلة الصهاينة وممثليهم: «بن غفير، وسموتريتش» إلى تنفيذها: المُناورة والمُماطلة، بكل السُبل، فى الوصول إلى اتفاق مع «حماس»، حتى تمر الفترة المُتبقية على الانتخابات الأمريكية، التى قد تأتى بـ«دونالد ترامب» رئيسًا- مرةً ثانية- وساعتها يكون «لكل مقام مقال».

وقد لخّص «نتنياهو» الموضوع فى كلمتين: «إن أى اتفاق فى المستقبل يجب أن تسيطر دولة (إسرائيل) بموجبه على المنطقة بأسرها: من النهر إلى البحر»!

إنها الخطوة الأولى نحو «إسرائيل الكبرى»: «من النيل إلى الفرات»، تُنَفَّذُ تحت أبصارنا ورؤانا.. فماذا نحن فاعلون؟!

> من الواضح أن نية العدو الصهيونى مُبيَّتة لتدمير وإعادة احتلال كامل الأراضى لفلسطينية ووضعها تحت الهيمنة المُطلقة

إلى أين سيهرب السفاح نتنياهو؟

مظلات الحرب تتلاشى نحو معركة مختلفة فى المنطقة

حسين دعسة

إلى أين سيكون هروب السفاح نتنياهو عسكريا؟ هل ينتحر فى جنوب لبنان، وسط معسكرات حزب الله؟. أم يقود طائرة انتحارية برأس نووى فوق طهران، معتقدات أن الامر ممكن طالما الإدارة الأمريكية والبنتاجون وحتى الرئيس الأمريكى جو بايدن، والمرشحة للانتخابات الرئاسية كامالا هاريس، وبعض أعضاء من والايباك المسيطر فى عالم المال وتجارة السلاح والمخدرات، ما زالوا تخدعهم ألاعيب المتطرف السفاح نتنياهو.

مظلات الحرب تتلاشى نحو معركة مختلفة فى المنطقة.. إلى أين سيهرب السفاح نتنياهو؟

مظلات الحرب تتلاشى نحو معركة مختلفة فى المنطقة.

- يتفق الإعلام الأمريكى والدولى، أن دولة الاحتلال الإسرائيلى: منهكة وتواجه انتكاسات!

يقرأ السفاح، ويجادل بقرف، حول ما

تحدثت به صحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية، عن ظاهرة تزايد الانتكاسات العسكرية التى تُواجهها إسرائيل خلال الحرب القائمة؛ الحرب العدوانية الإسرائيلية على غزة ورفح والشجاعية والنصيرات والضفة الغربية والقدس والداخل المحتل.

تعلل الصحيفة أن جيش الاحتلال، وحكومة السفاح تجدُ قواتها مُنهكة فهى تخوض حربًا على ٣ جبهات وهى قطاع غزة ضد حماس، جنوب لبنان ضد حزب الله، المقاومة الفلسطينية فى الضفة الغربية.

ما يؤكد عليه الإعلام الإسرائيلى والأمريكى أنّ الولايات المتحدة الأمريكية، ربما لا تزال مُترددة فى الضغط على رئيس الوزراء الإسرائيلى السفاح نتنياهو بشدّة، لتقديم تنازلات لحركة حماس، خوفًا من أن يُضرّ ذلك بالحملة الرئاسية للمرشحة لرئاسة الولايات المتحدة كامالا هاريس، خصوصًا إذا نُظر إلى البيت الأبيض، على أنه يُجبر نتنياهو على التوصّل إلى اتفاق، وفقًا لما قاله آرون ديفيد ميلر، وهو عضو بارز فى مؤسسة «كارنيجى» للسلام الدولى.

متاهة الإدارة الأمريكية.. انتخابات رئاسية.. وحرب التطرف الإسرائيلى

عشرات استطلاعات الرأى فى مراكز الأبحاث والجامعات والناتو، تضع بوصلتها وارقامها الاحصائية، نتيجة أن «الإدارة الأمريكية أصبحت فى وضع حرج، فقبل ٧٠ يومًا من الانتخابات، التى قد تكون الأكثر أهميةً فى التاريخ الأمريكى الحديث، من الصعب تصور أنّ الإدارة، باتت متفرغة لحماية الـ بيبى، السفاح (..) وهى، أى إدارة بايدن وبلينكن وأوستن، قد تزيد من الضغوط، أو تستخدم أدواتٍ ملموسة لوقف الحرب»، وغالبا تصطدم وحشية ردود أفعال السفاح، ويفشل كل مساعى إيقاف الحرب على قطاع غزة ورفح والضفة الغربية والقدس، يعيد مع حكومة اليمين، شل وتهديد دول المنطقة وجرها إلى ساحة الحرب، بعكس ما يريد الداخل الإسرائيلى، إذ أظهر استطلاع رأى أجراه «معهد الديمقراطية» الإسرائيلى فى القدس، أنّ:

٨٢٪ من الإسرائيليين يؤيدون التوصل إلى اتفاق لإعادة الأسرى الإسرائيليين فى قطاع غزّة.

كما أنّ أغلبية الإسرائيليين، يؤيدون التوصّل إلى اتفاقٍ منذ أشهر، ولكنهم ما زالوا منقسمين بشأن الشروط.

خلف قناع السفاح نتنياهو.. إبادة ومجرم حرب

التورط الذى جر إليه جيش الاحتلال، يقر الكابنيت انه خيار توسع الجبهات لذر الرماد فى العيون، عيون المعارضة الإسرائيلية، التى لا تركن النتائج الحرب من دمار وإبادة، بقدر ما ترنو إلى محفزات عن الاستيطان والعودة إلى ما قبل معركة طوفان الأقصى، وحتى هناك من يدعو دولة الاحتلال إلى خطة لنشر أكاذيب الجيش حول العالم.

.. وفى تحديات الآتى، كثير من الأسرار، ليس حماس وحدها ما يشكل القاسم المشترك بينها، وهى تحديات، فشل الكابنيت فى إدارتها، بل بقى مهزوما من المقاومة التى بقيت فى المفاوضات، حركة حماس الفصائل الفلسطينية ومحور المقاومة، صلبا، أمام تداخل/ أو تردد/أو خروج أى من الجبهات، فالذى تخطط له حماس أنها فى غزة ورفح، بكامل إرادتها وقوتها، وتنظر إلى التحديات مجتمعة:

■ **أولا: التحدى الإيرانى.**

«سيكون مفاجئًا».. هذا آخر ما قيلَ عن ماهية التحدى/ الردّ الإيرانى على دولة الاحتلال الإسرائيلى الصهيونى.

.. وفى هذا السياق؛ قال مسئول عمليات [قوة القدس فى الحرس الثورى الإيرانى] محسن جيذر إن رد بلاده على إسرائيل «قادم حتما».

ما أثار دولة الاحتلال والموساد، والبنتاجون، أن مصدر الخبر، يؤكد: ولن تكشف إيران عن طبيعة هذا الرد، حجمه ومدته، لأنه يعتمد على الظروف.

.. «جيذر» شدد فى تصريح نقلته أخبار «روسيا اليوم»: «لابد أن يكون الرد مفاجئا للعدو وفى الوقت المناسب كى يحقق أهدافه ويثأر لدماء الشهيد إسماعيل هنية».

وبدت تصريحات الحرس الثورى الإيرانى، عبر قوة القدس، انطلاقا من أن التحدى الإيرانى، هو ما يشغل جيش السفاح نتنياهو، الكابنيت، عدا عن أن «ظروف المنطقة كلها تصب فى مصلحة محور المقاومة» لافتا إلى أن «الكيان الصهيونى سيفشل ولن يحقق أهدافه».

■ **التحدى الثانى: جنوب لبنان شمال دولة الاحتلال.**

.. لغة الجغرافيا تضع البوصلة، الخرائط، وفق تعيين تلقائى نتيجة الجوار الفلسطينى، فجنوب لبنان- شمال دولة الاحتلال، مساحات قد تمتد إلى عمق لبنان العاصمة وغيرها، يأتى ذلك فى ظلّ تسريبات توحى بأن مخاطر الانزلاق نحو حرب شاملة فى لبنان أو حرب إقليمية كبرى-قد تكون - تراجعت مرحليا، لكن خطرها ما زال، بشكل كبير، منذ الأسابيع الماضية، الحديث سياسيا وأمنيا واقتصاديا، يتركّز حول تسوية سياسية أو وقف لإطلاق النار أكثر واقعية من الفترة السابقة، وهنا أخالف هذا الأثر كما أفصحت به الباحثة اللبنانية إيناس كريمة، التى ترددت فى التعبير عن التحدى الثانى فى مآلات الحرب على غزة، وجبهة حزب الله، وكريمة تقول، استنادا إلى مصادرها العسكرية المطّلعة:

إن الإفراط فى التفاؤل بشأن اقتراب موعد التسوية ليس أمرًا دقيقًا، إذ نحن نعيش اليوم فى إحدى مراحل الحرب ولم نقترب عمليًا من نهايتها، حيث إنه منذ اللحظة الأولى للسابع من تشرين الأول أكتوبر كانت أسهم الحرب الكبرى ترتفع وتنخفض ربطًا بالتطورات، وهذا ما يحصل اليوم بعد ردّ «حزب الله» الأخير على إسرائيل.

.. وأن هذا الرد(...) أعاد نوعًا من التوازن إلى الساحة الميدانية، وهذا ما عكس تهدئة نسبية فى الميدان أو أقلّه شبه استقرار مع تراجع التصعيد من كلا الطرفين.

.. وهنا: ليس صحيحا أن الإدارة الأمريكية، والقرارات من عديد الدول لم يتدخّلوا جديًا لوقف الحرب أو يضغطوا بشكل كاف من أجل إنهائها، رغم أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول تلفيق أسباب إطالة أمد تحولاتها السياسية والأمنية، عدا عن رحلاتها إلى المنطقة، الالتفات إلى الحركات والتحركات الشعبية الإسرائيلية الهستدروت، مثلا، قد فشلت فى الضغط على رئيس حكومة اليمين المتطرف التى تهدد مستقبل نتنياهو السياسى، وهو عمليا منته.

فى عمليات حزب الله، إصرار على انتظار أى تسوية، أى صفقة، يدفع لبنان والمنطقة ككُل إلى ترقّب الانتخابات الرئاسية الأمريكية التى ستحدد مسار التطورات فى فلسطين والمنطقة، وهى التى ستوضّح المشهد المتأرجح ما بين تسوية أو حرب كبرى، كما عبرت عن ذلك بوابة لبنان ٢٤.

من هُنا، فإنّ كلّ ما يحصل اليوم ليس إلّا محاولات من هذا الطرف أو ذاك لتحسين شروطه، لكن عدم تمكّن الأمريكيين من إيقاف الحرب، أو بمعنى أوضح عدم رغبتهم الفعلية بذلك، سيؤدى حتمًا إلى استمرار مخاطر تدحرج المعركة نحو حرب شاملة أو حرب إقليمية من الآن وحتى حصول الانتخابات الأمريكية، وكل ما هو قبل هذا التاريخ لن يكون حاسمًا بالنسبة للحرب إلا فى حال حصول مفاجآت، وهى ضمن السياق الذى أعلن عنه الأمين العام لحزب الله، من أن توقع الحرب، عمل عسكرى، أمنى، لا يمنع أن إشكالية الحرب على غزة أنها تترقب الجبهات كافة، التصورات الجيوسياسية الأمنية أن حزب الله، والسفاح نتنياهو وكل المنطقة والمجتمع الدولى، فى حيرة من حرب نتائجها تؤثر على كل طرف بحسب هواه.

***التحدى الرابع:**

وتعود أسباب هذا الموقف المصرى الأشهر من تعنت رئيس الوزراء الإسرائيلى خلال جولات عدة من محادثات وقف إطلاق النار فى غزة، التى جرت فى القاهرة والدوحة خلال الأشهر الماضية. إذ رفض نتنياهو كل المقترحات والبدائل التى عرضت على الطاولة من أجل حل مسألة ممر فيلادلفى أو محور صلاح الدين، وهو كناية عن شريط ضيق من الأرض يبلغ طوله ١٤,٥ كيلومتر على امتداد الحدود الجنوبية لغزة مع مصر.

ففى أوائل تموز، وتحت ضغط أمريكى، تخلت حماس عن بعض مطالبها المتشددة من أجل التوصل لاتفاق يوقف الحرب فى غزة، ويؤدى إلى تبادل الأسرى. ما دفع الرئيس الأمريكى جو بايدن إلى الإعراب عن ثقته فى قرب التوصل لاتفاق.

لكن فى وقت لاحق من ذلك الشهر، قدم المفاوضون الإسرائيليون رسميًا طلبات جديدة، بما فى ذلك بقاء القوات الإسرائيلية فى ممر فيلادلفيا وعند معبر رفح الحدودى. ما أثار توترات مع مصر، التى تعترض على أى وجود إسرائيلى هناك وقد حذرت من أنه ينتهك اتفاقيات كامب ديفيد لعام ١٩٧٩. لاسيما أن نتنياهو يدعى منذ ٧ تشرين الأول، أن ممر فيلادلفيا قناة رئيسية لنقل الأسلحة والأموال إلى مقاتلى حماس.

كما أعلن الجيش الإسرائيلى أنه عثر على نحو ٢٤ نفقا تمر تحت الحدود منذ أيار الماضى. فردت القاهرة بغضب على هذه الاتهامات، قائلة إنها دمرت أكثر من ١٥٠٠ نفق تهريب على مدى العقد الماضى وأنشأت منطقة عازلة عسكرية بعمق ثلاثة أميال تقريبًا على جانبها من الحدود فى شمال سيناء. وقال ضياء رشوان، رئيس الهيئة العامة للاستعلامات فى مصر، فى نيسان إن أى عملية تهريب «مستحيلة». وقد كررت وزارة الخارجية المصرية فى بيان، أمس الثلاثاء، موقفا مشابها، منتقدة نتنياهو.

أتى ذلك التصعيد بعدما أمضى ممثلون إسرائيليون زاروا القاهرة قبل أسبوعين، يوما كاملا يناقشون مع رئيس المخابرات

82% من الإسرائيليين يؤيدون التوصل إلى اتفاق لإعادة الأسرى الإسرائيليين فى قطاع غزّة

بدت تصريحات الحرس الثورى الإيرانى عبر قوة القدس انطلاقا من أن التحدى الإيرانى هو ما يشغل جيش السفاح نتنياهو

إلى أين سيهرب السفاح نتنياهو؟.. مظلات الحرب تتلاشى نحو معركة مختلفة فى المنطقة

المصرية عباس كامل مسألة ممر فيلادلفى فقط، عوض تفاصيل تبادل الأسرى، وفق ما أكد لمسئول مصرى سابق مطلع على المحادثات. وأوضح أن «مصر مستعدة للقبول بانسحاب إسرائيلى مرحلى من ممر فيلادلفيا، لكن يتعين على إسرائيل فى النهاية الانسحاب». لكن الجانب الإسرائيلى رفض الأمر أيضا.

■ التحدى الخامس: ازدواجية القرارات فى مجلس الأمن.

مع وضمن كل هذه التقديرات، والبيانات الدولية، والعمل الدبلوماسى من المنطقة والعالم، يأتى انعقاد مجلس الأمن الدولى، حالة لبحث ملف الأسرى، والرهائن، دون نبش ملفات الحرب، بينما تتواصل الإبادة الجماعية بحق سكان أهالى غزة، ورفح وصولا إلى الضفة الغربية والقدس، يعد تحديا ينعكس أثره على واحد من الأطراف، ولن يصيب السفاح نتنياهو أو جيش الكابنيت، المجتمع الدولى، مخادع، سينظر إلى ما تقول الإدارة الأمريكية وتعتبر قضية الرهائن، واكتشاف وفاة ٦ أفراد منهم، أدانت الولايات المتحدة الأمريكية حركة حماس فى ظروف مقتلهم، داخل الأنفاق.

نتنياهو، وبعواطف الإدارة الأمريكية، استطاع نقل الحرب إلى وسط طاولة القرار، وبدأ منذ ايام إثارة المجتمع الدولى والأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى، ضد الحقائق، هاربات، نتيجة دروس فريق التطرف، وما هى إلا علامات، أطلقتها الفصائل الفلسطينية وحماس، تعيد استهجان واستغراب - محاولة الاحتلال فرض روايته الكاذبة بشأن سبب موت الأسرى الستة استمرار فاضح لمسلسل الأكاذيب - مصير الأسرى فى غزة بيد مجرم الحرب نتنياهو وحده وأركان جيشه يتحملون المسئولية الكاملة عن مقتل الأسرى - مراهنة نتنياهو على التصعيد وتحرير الأسرى بالقوة قد فشلت وتسببت فى قتل مزيد منهم على يد جيشه - مواصلة نتنياهو سياسة التعنت والمراوغة وتعطيل الوصول لاتفاق تعرض حياة مزيد من الأسرى للخطر.

■ التحدى السادس: سيرة السفاح.. وثائقيا!

فى كشف ثقافى مذهل، برز أمام صناع الإبداع والفنون، التعرف على طرق السفاح نتنياهو، وكيف يهرب ويتملص من أفعال فيها خليط من الكذب، العهر السياسى، الإجرام، انفصام الشخصية، وهنا، حصلت «الدستور» على وثيقة ثقافية، تستعرض طرق تهرب السفاح، وتاليا ما ورد فى هذا السياق، الذى يجب أن يستثمر لصالح قضية فلسطين، ومنع استمرار حكومة نتنياهو، التى أبادت سكان فلسطين، وقطاع غزة ورفح خلال ١١شهرا حولت غزة إلى دمار ومجاعة.

يعد فيلم وثائقى جديد بعنوان «ملفات بيبى»، من إنتاج المنتج الأمريكى الحائز على جائزة الأوسكار «أليكس جيبنى»، بإسقاط قنبلة سياسية (..) يمكن أن تهز أروقة بلفور. ويكشف الفيلم الذى تبلغ مدته ساعتين، والذى سيُعرض الأسبوع المقبل فى مهرجان تورونتو السينمائى الدولى، عن لقطات لم تُعرض من قبل لتحقيقات الشرطة مع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، والتى تم جمعها كجزء من التحقيقات ضده بتهم تتعلق بالفساد. الرشوة والاحتيال وخيانة الأمانة.

كما تعلمون، يسرد كاتب المقال: بموجب القانون فى إسرائيل، يُحظر نشر تسجيلات التحقيقات دون الحصول على إذن من المحكمة. وبما أن الفيلم تم إنتاجه وعرضه فى الخارج، فمن المشكوك فيه ما إذا كان القانون سارى المفعول، ولكن فى إسرائيل سيظهر سؤال قانونى حول ما إذا كان مسموحًا ببثه.

وفى التسجيلات، التى تم التقاطها بين عامى ٢٠١٦ و٢٠١٨ ولم يتم الكشف عنها لجيبنى إلا فى عام ٢٠٢٣، يظهر نتنياهو نفسه وزوجته سارة وابنه يائير وأصدقاء رئيس الوزراء ورفاقه بالإضافة إلى عاملات المنازل فى بلفور. وفقا للمبدعين جيبنى والمخرج ألكسيس بلوم، فإن هذه «متفجرات سياسية»، يمكنها إلقاء ضوء جديد ومدهش على شخصية نتنياهو والفساد المنسوب إليه - الفساد الذى يقولون إنه أثر على قيادة البلاد وساهم فى خلق حكومة سياسية معقدة. الواقع الذى هو عليه الآن. ويوضحون أن التسجيلات، التى تحتوى على آلاف الساعات من المقابلات، كلها باللغة العبرية وتم إجراؤها قبل أكثر من ثمانى سنوات، لكن لم يتم الكشف عنها بعد، كما ذكرنا، بسبب قوانين حماية الخصوصية فى إسرائيل.

وقال جيبنى، الذى وصفته مجلة إسكوايرفى وقت سابق بأنه «أهم مخرج وثائقى فى عصرنا»، لمجلة فارايتى إن الفيلم يسعى إلى تقديم شخصية نتنياهو بطريقة لم يسبق لها مثيل: «هذه الأشرطة شهادة قوية على شخصيته الفاسدة»، يقول جيبنى: «وكيف قادنا إلى المكان الذى نحن فيه الآن». ووفقا له، يكشف الفيلم «شيئا شكسبيريا عن الرجل»، بمعنى أن الفساد البطىء لشخصيته، وحاجته الماسة للبقاء فى السلطة، دفعاه إلى القيام بأشياء فظيعة نشهدها الآن. ووصف بلوم الفيلم بأنه «صورة لرجل وعواقب أفعاله» لا يقدم نتنياهو كزعيم فحسب، بل أيضا كبطل تراجيدى وقع فى فخه. ووفقا لها، فإن فساده المتزايد ورغبته المستمرة فى التمسك بالسلطة دفعته إلى ارتكاب أعمال خطيرة، لا تزال تؤثر على دولة إسرائيل. وقالت: «مهمتنا فى هذا الفيلم كانت ربط هذه التحقيقات ومحاكمة الفساد بكل ما جاء بعدها».

وبحسب صناع الفيلم، يسعى الفيلم إلى كشف «الحقيقة المرة» خلف قناع نتنياهو السياسى، وقد يكون بمثابة إشارة تحذير لمستقبل البلاد. ومن بين أمور أخرى، يتطرق الفيلم أيضًا إلى التغييرات التى بدأها نتنياهو كجزء من الإصلاح القانونى، وهى خطوات يقولون إنها تعتبر بمثابة تحضير للأزمة السياسية الحالية. يعترف بلوم بأن الإصلاح كان أحد أسباب ولادة الفيلم. ووفقا لها، فإن الحكومة تحت قيادته تحاول «تغيير المحاكم العليا، ومن ثم إدارة الحرب بطريقة لم تكن لتحدث أبدا لو لم يكن لديه مثل هذا التحالف المتطرف».

وهذه ليست المرة الأولى التى يتعاون فيها صناع الفيلم، فقد سبق لهم أن عملوا معًا فى الفيلمين الوثائقيين «Divide and Conquer: The Roger Ailes Story» و«We Steal Secrets: The WikiLeaks Story». وفاز جيبنى بجائزة الأوسكار عن الفيلم الذى أخرجه عام ٢٠٠٧ بعنوان «Taxi to the Dark Side»، والذى تناول قضية وفاة سائق سيارة أجرة أفغانى تحت التعذيب بعد التغيرات التى شهدتها البلاد عقب الغزو الأمريكى بعد هجمات ١١ سبتمبر. لقد صنع أيضًا أفلامًا عن أزمة المواد الأفيونية وفاز بجوائز إيمى وجرامى وبيبودى ونقابة الكتاب. فهو لم يسلم من انتقادات نتنياهو فى الماضى، ويتضمن تاريخ تغريداته دعم «صفقة القرن التى ستستبدل نتنياهو وشركائه اليمينيين المتطرفين ببقية الرهائن. الجميع يربح». كما شارك فى الادعاءات بأن جيش الدفاع الإسرائيلى ارتكب «جريمة حرب صارخة» فيما يتعلق بالتحقيق فى استخدامه للمدنيين الفلسطينيين كدروع بشرية لتفقد الأنفاق التى يحتمل أن تكون محاصرة فى غزة.

لكن بلوم، والده اليهودى، قال إن الهدف بالنسبة لهم الآن هو إنتاج فيلم وثائقى «لا يحاول إقناع المقتنعين»، بل فيلم يحترم الحقيقة ويركز على حقوق الإنسان، وليس فقط على الحقوق الإسرائيلية. الحقوق الفلسطينية. قال بلوم: «لقد حاولت حقًا العثور على قاسم مشترك فى هذا الفيلم، وهو شىء يمكن أن نتفق عليه جميعًا». «إن سيطرة نتنياهو المفرطة على السلطة هو أمر سيتفق عليه العديد من الإسرائيليين وسيوافق عليه العديد من الفلسطينيين أيضًا. إنهم لا يتفقون على «ما هو الحل للأزمة فى الشرق الأوسط»، لكننى أعتقد أن معظم الناس - باستثناء المتشددين من البيبينيين — سيوافقون على رحيل نتنياهو».

ويقول المبدعون إنهم شعروا بالحاجة الملحة إلى إطلاق الفيلم على وجه التحديد على خلفية الحرب فى غزة. يقول جيبنى: «هناك إلحاح معين فيما يتعلق بأخذ شخصية نتنياهو فى الاعتبار فى الوقت الذى يقال لنا فيه: «أوه، هذه المناقشات ليوم آخر لأن نتنياهو فى منتصف الحرب». «لقد شعرنا أنه من المهم ومن واجبنا كمواطنين فى العالم أن ننشر قصتنا فى أسرع وقت ممكن لأن الناس يموتون كل يوم».

سيتم عرض فيلم «ملفات بيبى» لأول مرة يومى ٩ و١٠ سبتمبر فى مهرجان تورونتو السينمائى الدولى، وإذا صدقنا الضجيج الذى أحاط به المبدعون والدعاية، فقد يكون هذا الفيلم بمثابة الزلزال السياسى الذى لم يتوقعه بيبى أبدًا.

رؤية حضارية فى مقابل إبادة جماعية

ما فى التحديات السابقة، أن العالم، بات مشتتا، غائبا عن الوعى والحوار، إذ ان القطب الأمريكى يعمل على تهريب نتنياهو من جلده، كيف بالعمل على إطالة الحرب العدوانية الإسرائيلية المستعرة على غزة ورفح والضفة الغربية والقدس والداخل المحتل، حدث، ويحدث، وهنا، المراقب، نبت غريب والحامى لكل دبلوماسية بلينكن، ينتبه الغرابة والد فى حجره المستحيلات، الفيلم محطة مهمة ابحثوا عن حقيقة هذا المجرم، ومن يقود العربة أمام الأحصنة.

إلى أين سيهرب السفاح نتنياهو؟.. مظلات الحرب تتلاشى نحو معركة مختلفة فى المنطقة

فى مطلق فلسفة المفاوضات، إبان الأزمات والحروب، تظهر تسريبات تقول:

إن عمل وانشغال مراكز الأبحاث والاستطلاعات، تنتشر فى مواكب الانحدار عند من يقود الرأى العام، فى المجتمع الدولى، إذا ما علمنا أن عالم اليوم يراهن شكليا على علوم استراتيجية دخلت فى إطار الاستخبارات فائقة الخطورة، تقودها، مشاريع التمويل الأجنبى، عبر عشرات شركات آخر همها جدية مصداقية الأرقام أو النتائج، وهى استطلاعات، الهدف منها شيطنة محور المقاومة، والتذلل لكل أعمال الاجرام والإبادة التى قادها السفاح.

.. لفهم ذلك، على المواقف، المحلل السياسى، أن يقرأ جدية الاستطلاعات اليوم التى تشرح ظرفية وقوع الحرب العدوانية على قطاع غزة ورفح والضفة، غالبا لديها أدوار متناقضة، غير دقيقة ولا محايدة:

* الدور الأول: عن مصداقية تعريف العالم بحدود صلاحيات السفاح نتنياهو، من خلال، دعم هو شركات وشخصيات ودول المولين والمنظمين لهذه الاستطلاعات، وهى فى سياق غير محايد، فالمعلومات، عند الرأى العام، تجعله، يفتقد توجهاته، ورغباته، ليتمكنوا من إيجاد الطريقة الملائمة لقيادته وغزوه، بدلالة ما تم من أحداث بعد خطاب السفاح فى الكونجرس الأمريكى، أو فى الكنيست أو أى برلمان فى العالم.

*الدور الثانى: تهريب مسئولية السفاح عبر تضليل الشعوب، المنظمات والجيش بنتائج احصائية زائفة لتصبح، ضمن حقائق سياسة القطب الواحد، الداعم لدولة الاحتلال.

تشويه الحقائق، هو تحد مفتوح، لأن من ركائز المعلومات، وجديتها ومصداقيتها وحياديتها، السفاح، هناك من يخرجه أو يعمل على تهريبه بتقديم وتبرير ودعم حرب الإبادة المدعومة، بسلاح الأكاذيب، والاستشارات لصانعى القرار فى الولايات المتحدة، ودولة الاحتلال الإسرائيلى العنصرية.

تحديات أمام عاصفة قد تكون الأخيرة؟

.. فى جدل القوى التى ترحل وتهرب دولة الاحتلال من مسئولياته، ذكرت مجلة «Financial Times» البريطانية أنه «عندما دعا اتحاد النقابات العمالية القوى فى إسرائيل إلى إضراب عام فى العام الماضى فى محاولة لوقف خطط رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو لإصلاح قضائى مثير للجدل، اضطر الأخير إلى تأجيل المشروع. وشكلت هذه الخطوة أول تنازل له فى معركة مريرة تجاهل فيها أشهرًا من الاحتجاجات الجماعية. ولكن إذا كان خصومه يأملون فى أن يتكرر التاريخ يوم الاثنين، فقد أصيبوا بخيبة أمل. فى مواجهة إضراب آخر واحتجاجات ضخمة تطالبه بإبرام صفقة لتحرير الرهائن الإسرائيليين المحتجزين لدى حماس، حتى لو كان ذلك يعنى إنهاء الحرب مع الجماعة المسلحة، ضاعف السفاح نتنياهو جهوده».

كانت الإشارات تنتقل نحو ما حصل «فى المؤتمر الصحفى، الذى عقد- مساء الاثنين- وفيه أصر السفاح الإسرائيلى على أن الحرب لن تنتهى إلا «عندما تتوقف حماس عن حكم غزة»، وكرر رفضه سحب القوات من الحدود بين غزة ومصر، اى معبر فيلادلفيا، صلاح الدين، وهو ما يُنظر إليه على نطاق واسع باعتباره أحد العقبات الرئيسية أمام التوصل إلى اتفاق، أو نجاح المفاوضات، التى عطلها نتنياهو متعمدا، فيما شل الوسيط الأمريكى.

أحد الأسباب التى جعلت الإضراب الأخير الذى دعا إليه الهستدروت، لا يرغم السفاح نتنياهو على التراجع، أنه بدلًا من تقديم جبهة موحدة، كشف عن الانقسامات العميقة فى دولة الاحتلال الإسرائيلى.

فى الواقع، اكتسب السفاح، تعريف جديد، كمجرم حرب، إذ أظهرت الاحتجاجات الجماهيرية التى رافقت الإضراب انقسامات مماثلة؛ فقد اندلعت هذه الاحتجاجات بسبب الغضب إزاء مقتل ستة رهائن محتجزين لدى حماس، وكانت أكبر مظاهر الدعم العلنى لصفقة الرهائن حتى الآن، حيث جلبت مئات الآلاف من الناس إلى الشوارع. لكن المحللين قالوا إن أعدادهم كانت مستمدة إلى حد كبير من القطاعات الليبرالية فى المجتمع الإسرائيلى التى احتجت ضد نتنياهو والإصلاح القضائى الذى كان ائتلافه اليمينى يدفع به خلال أشهر الحرب على غزة، وليس من داخل معسكر الائتلاف اليمينى المتطرف... نلاحظ، وفق الخبرة السياسية، أن الشىء الوحيد الذى يمكن أن يساهم عمليا فى إسقاط الحكومة، أن يتم هدمها من الداخل، ولكن مع الدعم الأمريكى والغربى الأوروبى بالذات، صعب، غير ان اجتراح النزاعات داخلها وليس الضغوط الخارجية، ما قد ينجح، غالبا السفاح يهرب ويتلفع بأغطية تحتك التطرف اليمينى.

دخل الائتلاف المكون من حزب الليكود بزعامة نتنياهو وحزبين متدينين متطرفين وحزبين يمينيين متطرفين فى خلافات حول قضايا تتراوح من تجنيد الرجال المتشددين إلى القواعد التى تحكم الأماكن المقدسة الحساسة فى القدس. ولكن المعارك الأكثر ضراوة كانت بسبب الحرب التى اندلعت فى أعقاب الهجوم المدمر الذى شنته حماس على إسرائيل فى السابع من تشرين الأول. ومع استمرار القتال، زعم قادة الجيش والأمن ووزير الدفاع الإسرائيلى يوآف غالانت بقوة متزايدة أن التوصل إلى اتفاق مع حركة حماس هو أفضل وسيلة لتأمين إطلاق سراح نحو مائة رهينة ما زالوا محتجزين فى غزة».

فى المقابل، يريد الغرب أن يبقى التطرف فى وقت الحرب تحديدا، لأن بقاءه يعنى أن تطرف إيران وحزب الله جنوب لبنان، والحشد الشعبى فى العراق، عدا عن الحوثى فى اليمن.

تحدى وجود «لكن» تضع أمام المجتمع الدولى والأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى، حقيقة أن الحزبين القوميين المتطرفين برئاسة وزير المالية بتسلئيل سموتريتش ووزير الأمن القومى إيتمار بن غفير ما زالا يعارضان بشدة أى اتفاق ينهى الحرب على غزة ورفح، قبل تدمير حركة حماس، وقد هددا بالانسحاب من الائتلاف وفرض انتخابات مبكرة إذا استسلم نتنياهو، وهى مسألة استفاد منها، بعد استعادة جثث الرهائن الست يوم الأحد الماضى، حيث طالب جالانت الحكومة بعكس موقفها بشأن إبقاء القوات على الحدود بين مصر وغزة، واتهمه سموتريتش بالسعى إلى «صفقة استسلام».

لكن مرة أخرى إذا استسلم السفاح، ووقع فى فخ أفعاله الإرهابية، فهذا يعنى الذهاب إلى الانتخابات وفقدان السيطرة.

.. وهنا تحد متجدد، إذ إنه طالما إبرام صفقة الرهائن- التى تبدو مستحيلة إلا بحرب وتصعيد إقليمى، ما يشل بقاء ائتلافه واستراتيجيته العسكرية، التى تقوم على حرب الإبادة، فلن يفعل ذلك.

ظل الأزمة.. لا ظل الحقيقة

١١ شهرا من إبادة جماعية من جيش الكابنيت الصهيونى، قادها السفاح نتنياهو، نتج عنها

الأزمة الداخلية الكبيرة غير المسبوقة فى دولة الاحتلال الإسرائيلى، معركة «طوفان الأقصى»، كانت شرارة مقاومة فلسطينية مشروعة، هنا، مع التحديات ازدادت الأسئلة عن مصير الحرب ومصير رئيس الحكومة الإسرائيلية السفاح نتنياهو.

وبحسب مصادر مطلعة فإن هناك مخاوف حقيقية لدى البعض من أن يهرب نتنياهو إلى خطوات مجنونة فى خارج إسرائيل، بهدف صهيونى، أمريكى مشترك، هو توحيد الساحة الداخلية حوله، وتثوير سخط الساحات الخارجية، فى ومن ضمن دول الجوار الفلسطينى.

زيادة التصعيد الأمنى والعسكرى، وضع المنطقة فى أتون تحديات، على كل الجبهات الخارجية، التى تنحاز إلى أجندتها وهذا، عمليا الطرح الخطير الذى تقوم عليه لعبة شد الحبل بين السفاح نتنياهو، والعالم خارج إسرائيل، وهو الذى ليس لديه أى وجود قوى أو استراتيجى، ممكن يتحكم فى اضطراب أى فعل أو على أى تصعيد داخل فلسطين، وهذا ما جر اليه السفاح نتنياهو نفسه، عندما دخل الضفة الغربية والقدس والداخل المحتل.

ميقات الحرب فى غزة هو نقطة الارتكاز، إعلان النصر/ الهزيمة تهديف، قد يقتل أو يغتال الطموحات السياسية لنتنياهو، لكن لن يقتل حركة مقاومة شعبية جادة، تكمل المنحنى البيانى لقضية، باتت الآن حديث العالم.

.. وفى الإطار، هناك دولة وسيطة تتلاعب فى المجتمع الدولى، والتفاهم مع السفاح قبل استحقاق الهروب نحو امتداد حربى جديد، لساحة حرب، أقربها فى جنوب لبنان وهذا يلزم سؤال: هل يمكن اعتبار محادثات/مفاوضات الهدنة فى غزة أثمرت..

هناك صبر من قبل الدول الوسطاء، «مصر، قطر، الولايات المتحدة الأمريكية» وقد اجتهدوا وعمقوا الأعمال اللوجستية، فى كل أطراف وردود وملفات الأحداث، بما فيها ما استجد، الدخول الحربى على مدن ومخيمات الضفة وهو هرب إلى الداخل، جاء بعد أسبوع من استئناف المفاوضات غير المباشرة بين إسرائيل وحركة حماس، تفيد العديد من التقارير بوجود «فجوات»، رغم «التقدم» المحرز للتوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار فى غزة والإفراج عن الرهائن.

.. والتحدى هنا مختلف، إذ ذكرت صحيفة «وول ستريت

مظلات الحرب تتلاشى نحو معركة مختلفة فى المنطقة.. إلى أين يسحب السفاح نتنياهو؟

جورنال» الأمريكية، أن المحادثات بين إسرائيل وحماس وصلت إلى «مرحلة حرجة» بعد جمودها لعدة أشهر.

ونقلت الصحيفة عن وسطاء عرب ومحللين إسرائيليين، قولهم إن «سلسلة التعليقات التى أدلى بها رئيس الوزراء، بنيامين نتانياهو، أدت إلى تراجع أى شعور بالتقدم فى المحادثات».

عربيا ودوليا وإسلاميا، تم رفض ما أعلن نتانياهو، الخميس، عن احتفاظ دولة الاحتلال بالسيطرة على المنطقة الحدودية بين مصر وغزة (محور فيلادلفيا) بهدف منع «تهريب الأسلحة» لحماس، هو أحد ٤ شروط وضعتها حكومته لوقف إطلاق النار فى القطاع.

السفاح نتنياهو، أثار بالمزيد من الخلافات، عدة شروط منها استمرار سيطرة الجيش الإسرائيلى على «محور فيلادلفيا ومعبر رفح» اللذين احتلهما بداية مايو، هو أحد «أربعة مبادئ» طرحتها حكومته فى إطار المفاوضات الرامية للتوصل إلى وقف لإطلاق النار فى غزة والإفراج عن الرهائن المحتجزين فى القطاع.

المحصلة، اليوم العالم يقر بما يقف عليه الخطأ الأمريكى والأوروبى، إضافة إلى غياب الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى، ما خلق تفاهمات سلبية ولا منطقية فى قضايا الحدود وأصالة مصداقية الخرائط فى الواقع.

تمادى السفاح نتانياهو معتبرا أن أى اتفاق «يجب أن يسمح لإسرائيل باستئناف القتال (بعد انتهاء فترة الهدنة التى سينص عليها) حتى تتحقق أهداف الحرب».

مصر.. الحق ودبلوماسية التفاوض

دبلوماسية رفيعة المستوى من تراث وموروث مصر فى المفاوضات، ركز عليها العالم، ذلك أن هناك نقاطا عالقة لا تزال تتجاوز ما تم الاتفاق عليه سابقا مع الوسطاء، وتعوق التقدم فى مفاوضات التهدئة» فى قطاع غزة.

كانت «واشنطن بوست»، نقلت عن مصادر مصرية، مطلعة على المفاوضات، قولها: «الكرة فى ملعب نتنياهو. نتنياهو لا يريد السلام. هذا كل شىء. سيجد أعذارا لإطالة هذه الحرب حتى ٥ نوفمبر»، فى إشارة إلى موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

.. لن يستطيع نتنياهو الهروب، إن إسرائيل وحماس «ظلتا على حد سواء حذرتين للغاية بشأن ما إذا كان الجانب الآخر مستعدا حقا لتقديم تنازلات خلال المحادثات».

.. لا مكان فى هامش المفاوضات مع غياب جدية التحول الأمريكى العربى على ممارسة الضغط.

تنسيق حماس- مصر

فى كل المسارات الجادة، وافقت حماس، على التخلى عن مطالبة التزام دولة الاحتلال إسرائيل أولا بوقف دائم لإطلاق النار قبل توقيع الاتفاق، حيث كانت تقول فى السابق إن أى اتفاق يجب أن ينص على إنهاء الحرب والانسحاب الإسرائيلى الكامل من غزة، بينما تقول إسرائيل عكس ذلك، والخلافات بصيغ:

- 1.: لن نقبل سوى بوقف مؤقت للقتال، لحين «القضاء على حماس» فى كل غزة.
- 2.: مراقب أمنيًا وعسكريًا من الجانب المصرى
- 3.: لا يوجد به مدن سكنية أو حياة على مد البصر
- 4.: مراقب جويًا من الجيش الإسرائيلى ومخابرات غربية
- 5.: صوت نتنياهو على الخروج منه فى الكنيست عام 2004!
- 6.: لم يكتشف فيه الاحتلال أى نفق بين مصر وغزة!
- 7.: 80% من سلاح حماس تصنيع محلى ولم يأت عبر الأنفاق!
- 8.: التساؤل: لماذا أخر نتنياهو اقتحامه إذا كان بهذه الخطورة التى يزعمها؟!
- 9.: المقاومة: لا صفقة دون الانسحاب من فيلادلفيا وقطاع غزة.

اجتياح الضفة: تحقيق الطموح الإسرائيلى بـ«يهودا والسامرة»،

تقرير صحفى نشرته فى بيروت بوابة المدن، وقال فيه كاتبه الصحفى الفلسطينى «أدهم مناصرة»:

خلاصة بارزة للعملية العسكرية المستمرة فى شمال الضفة الغربية، منذ نحو أسبوع، وخصوصًا فى جنين، وهى أن جيش الاحتلال يمعن فى تجسيد مشهدية «إيلام الفلسطينيين»، على نحو يكشف أن هدف حملته الأوسع فى الضفة، منذ نحو ٢٢ عامًا، تتعدى العناوين الأمنية المعلنة.

تدمير الاحتلال، غير المسبوق، للبنية التحتية فى جنين ومخيمها، وأيضًا لطولكرم، يدل بحسب منارة على أن استهداف مقومات الحياة وتعقيد حياة السكان، لوضعهم أمام خيارات أخرى، هو هدف مركزى للحملة العسكرية.

.. ولعل المنارة اكتشف، وهو فى الداخل، أن حجم العملية العسكرية أكبر من هدفها المعلن. وأوضح مواطنون أن المدينة ومخيمها يتعرضان منذ سنتين لعمليات عسكرية، أسفرت عن اغتيال عدد كبير من المقاومين، وهو ما جعل شروع الاحتلال بحملته العسكرية الآن، وتبريرها كـ«ضرورة لمنع تكرار هجوم ٧ أكتوبر/تشرين أول ٢٠٢٣»، بمثابة أمر «غير منطقى».

.. وفى منظور الحروب تحت الاحتلال، العملية العسكرية تركزت فى الأيام الأولى، فى الحى الشرقى لجنين، وكان حجمها مبالغ به بالنظر إلى نتائجها، إلى جانب استهداف مصادر المياه فى عموم المدينة، لجعل حياة الناس صعبة ومستحيلة، أولًا وأخيرًا.

وحتى الأرقام والمعطيات التى أعلنها جيش الاحتلال كحصيلة لعمليته المستمرة، فهى تؤكد أن حملته مبالغ بها عسكريًا بالنظر إلى نتائجها، وتثير سؤالًا مركزيًا: «ماذا يريد الاحتلال من الضفة؟».

هناك مؤامرة: خريطة نتنياهو.. وخطة «الحسم»

تلتقط بوابة المدن، حقيقة المؤامرة الإسرائيلية فتقول: الإجابة يمكن استنتاجها من خريطة استعرضها رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو ليل الاثنين، فى سياق تبرير بقائه فى محور فيلادلفيا، بقطاع غزة، إذ خلت الخريطة من شىء اسمه «الضفة الغربية»، فى إشارة إلى ضمّها تلقائيا إلى «دولة» إسرائيل.

.. وأيضا، العملية العسكرية الكبيرة فى شمال وجنوب الضفة، متصلة بخطة وزير المالية الإسرائيلية بتسلئيل سموتريتش، التى حملت عنوان «حسم الصراع»، وهى خطة تبنتها الحكومة الإسرائيلية برئاسة السفاح نتنياهو.

الخطة، هنا تعنى قلب متوازيين المفاوضات، وهى قائمة على سيطرة إسرائيلية كاملة على الضفة، وتُنفذ بشكل متدحرج، مبينًا أن أحد أهداف إنهاء المقاومة فى شمال الضفة، هو إعادة مستوطنات تمّ إخلاؤها من جانب واحد عام ٢٠٠٥، وهو مطلب يصرّ عليه المستوطنون الذين وصلوا إلى الحكم فى إسرائيل.

ويشير إلى أن حكومة نتنياهو تتعامل مع التوقيت الحالى، كفرصة نادرة، لفرض خطتها المفصلة، وتسريع تطبيقها الذى بدأ فعليا منذ سنوات، بينها تجفيف المصادر المالية للسلطة الفلسطينية، توطئة لانهيارها، أو تحويلها إلى جسم إدارى محلى لا معنى له.

وتنسجم الخطة الإسرائيلية الرسمية مع شعار يردده المستوطنون، ومفاده أن «القصة اليهودية فى يهودا والسامرة»، أى أن أصل الصراع وحسمه يبدأ من الضفة، وينتهى فيها.

ويؤكد مدير برنامج «دراسات إسرائيل» فى مدى الكرمل امطانس شحادة أنه لا يمكن الفصل بين الهجوم الإسرائيلى على الضفة، والعقيدة السياسية لليمين المتطرف، والذى يرنو إلى ضم الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧، وتوسيع الاستيطان وتعميقه.

فى واقع الأمر، أن غالبية الوزراء الإسرائيليين يؤيدون ضم الضفة، وأن الهجوم على شمالها يُسوّق كـ«حاجة أمنية إسرائيلية»، لكنه يحمل أهدافًا أيديولوجية وسياسية، تتمحور حول نسف إمكانات الحل السياسى للقضية الفلسطينية، ومنع إقامة دولة فلسطينية.

تعنت وبناء ردع انتحارية بموافقة سرية غربية

بدورها، تقرّ أوساط فى أوروبا والولايات المتحدة، وبلدان الشرق الأوسط، بما فيها من السلطة الفلسطينية بأن، ما يمكن أن تطرح، كاستراتيجية، اختلقها الاحتلال، والسيطرة على الضفة، تحت نظرية: «التحول من الردع، إلى المنع»، والتذرع بـ«الخطر الإيراني»، وفق تسريبات غربية، ساندت دو الاحتلال، بينما الحقيقة أنها، عملية عسكرية، واستهانة، متدحرجة لفرض السيطرة الشاملة على الضفة، بدءًا منَ ف رام الله لـ«المدن، إن الاحتلال يركز فى حملته على مثلث جنين-طولكرم- طوباس، بهدف التسهيل العملياتى لخطة نتنياهو-سموتريتش، لعودة المستوطنات إلى المنطقة الشمالية للضفة، وذلك ما افصح عنه الباحث المناصرة..

واعتبر المسئول أن عمليات الاحتلال فى مخيمات طولكرم وجنين، طويلة وسرية، ما يجعل كابوس التهجير حاضرا بقوة.

ويحذر القيادى من مخطط إسرائيلى لتهجير نحو ٧٥٠ ألف فلسطينى من سكان الضفة لديهم «رقم وطنى أردنى»، وذلك بإجبار هذا العدد الذى يشكل ٢٥ فى المئة من سكان الضفة، على الانتقال إلى جوار فلسطين، قد تكون الأردن، لبنان، وسوريا، رغم مأساوية التصور. مأساوية

التنفيذ، ما يستدعى، أن تقود مصر والاردن، فى هذه المرحلة، الحراك السياسى باتجاه الدول الغربية والإسلامية ودول مجلس الأمن، لكبح عنوان تهريبات السفاح، التى تتمدد وتتقلص بحسب ميول الإدارة الأمريكية، التى باتت الحرب فى غزة والضفة لا تعنى لها إلا فقرة فى تصريح سياسى صباحى.

شروع الاحتلال بحملته العسكرية الآن، وتبريرها كـ«ضرورة لمنع تكرار هجوم 7 أكتوبر

تنسجم الخطة الإسرائيلية الرسمية مع شعار يردده المستوطنون ومفاده أن «القصة اليهودية فى يهودا والسامرة»

عبدالرحيم طايع

الذين لا يريدون أن تنتهى الحرب!

تبدو حرب غزة أبدية؛ فلا أحد من الأطراف المشتبكة تقريبًا يريد أن تنتهى الحرب؛ هذه الحرب فرصة إسرائيل الكبرى للتوسع المراد من قديم، وبالنسبة لحماس تمثل الحرب إعلانًا صريحًا عن الحق الفلسطينى المهضوم، شمل العالم فعلًا، وجعل شعوبًا كثيرة تغنى غناءً جماعيًا باهرًا للأرض المغصوبة.. هذا عن الطرفين الأساسيين فى هذه الحرب، وأما الأطراف الأخرى المشتبكة من بعيد؛ فالولايات المتحدة الأمريكية ما زالت تصر على دعمها الكامل لإسرائيل،

لا بد من حل بعد أن صار حل الدولتين بلا عنوان بعد أن أوغرت الصدور

وتسمية جرائمها الحربية بالدفاع عن النفس، ومدها بالسلاح، والتواجد بالقرب منها للحماية المباشرة إذا لزم الأمر، وبالرغم من موقفى بريطانيا وفرنسا الظاهر المتفادى لاندلاع حرب إقليمية فى المنطقة، إلا أنهما، فى العمق، تميلان رسميًا إلى إسرائيل ميلًا نهائيًا، وفى تفسير الموضوع، معلوم أن إسرائيل صناعة أمريكا وبريطانيا وفرنسا بالأساس، وهى شوكتهم التى زرعوها فى المنطقة، ويدهم الطولى التى من خلالها ينالون مآربهم...

محور المقاومة، محور مقاومة إسرائيل والنفوذ الأمريكى فى المنطقة، وهو تحالف جماعات مسلحة فى كلٍ من لبنان والعراق وسوريا واليمن مدعومة من إيران، وهو محور نشط لا تتوقف عملياته ضد إسرائيل ولا المصالح الأمريكية «حزب الله اللبنانى وحركة أنصار الله اليمنية نموذجًا» ومهما يكن هذا المحور مساندًا لفلسطين وعدالة قضيتها، إلا أن نشاطه الملتهب يزيد من تعقيدات الأوضاع فى الشرق الأوسط، ويمنح إسرائيل وحلفاءها ما يريدان من المسوغات لاستمرار العدوان على غزة والضفة وكل فلسطين، لا أعنى هنا أنه يجب أن يتوقف، وهو لن يتوقف بكلمة أو تحليل مهما يكونا، بل لماذا يتوقف هو ولا يتوقف الجموح الإسرائيلى الشرير المحتل ابتداءً؟ أنا هنا أشير إلى عوامل تؤجج النيران على كل حال، وتفتح الباب لحرب شاملة شديدة الخطورة، قد لا تبقى ولا تذر، خصوصًا أن هناك أطرافًا نووية تراقب ما يجرى، دون دخول فعلى فى ساحاته حتى الآن، كالصين وروسيا وكوريا، وهى دول الكتلة الشرقية المعادية للغرب الموالى لإسرائيل!

المفاوضات دومًا ما تفشل، القاهرة تحاول والدوحة تحاول، ولكن الغطرسة الأمريكية والصلف الإسرائيلى يحولان دون نجاح الوسائط، ولا يمكن النظر إلى الحماسيين بنفس العين التى تنظر للطرف الآخر الذى انتهز حدث السابع من أكتوبر انتهازًا فادحًا؛ فبالغ فى الرد عليه مبالغة رهيبة كشفت خبث نواياه أكثر وأكثر، وهو سارق الأراضى ومنتهك الأعراض ودائس المقدسات أصلًا...

لا بد من حل، بعد أن صار حل الدولتين بلا عنوان، وبعد أن أوغرت الصدور، ونما فى نفس كل طفل فلسطينى ثأر فظيع تجاه ساكن الجوار الذى فرضته عليه السنون.. لا بد من حل فورى يجنب العالم ويلات وأهوالًا لا قبل له بها، وقد يكون بعضه فى أيدى بقية العقلاء السلميين بالكرة الأرضية!

أميرة ملش

الكذب لن ينجى نتنياهو

منذ ما يقرب من العام يشعر رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو بالخطر.. الخطر على نفسه، ليس فقط من الإطاحة به، بل أيضًا خطر المحاكمة. بعد هجوم حماس فى السابع من أكتوبر الماضى يشعر هذا الرجل أن عرشه يتهاوى، وأن ضعفه أصبح ظاهرًا وليس باطنًا.. يعرف تمامًا أنه ربما يكون خبيثًا ولكنه سياسى غير محنك، هشًا وليس ذكيًا بشكل كافٍ للحصول على ما يريد، وأن بعضًا ممن حوله يعلمون نقاط ضعفه بكل وضوح.

الكذب لن ينجى نتنياهو

ولذلك يتخفى دائمًا خلف عناد الغبى.. وعنف الضعيف، وكذب الفاشل.

وهو ما يجعل منه أيضًا رجلًا مراوغًا وعنيفًا وقاسيًا كأنه مصاص دماء، يرى نتنياهو أن فى الكذب نجاة يلجأ إليه كملاذ أمن.. حتى يوهم الإسرائيليين أنه غير فاشل.. وخانة الفشل هى أكثر ما يوجعه من هجوم السابع من أكتوبر العام الماضى.. يرى أن الجميع يضعه فيها دون تردد.. الأمر الذى يستغله ببراعة خصومه السياسيون داخل إسرائيل.. إنه فاشل فى كل الاتجاهات، سياسيًا وعسكريًا، وكذلك فاشل كمفاوض.

كل هذا لم يجد أمامه نتنياهو مفرًا غير تشغيل آلة الكذب فى عرض مستمر منذ ما يقرب العام.. والإدعاء على مصر تحديدًا وجعلها شماعة يعلق عليها فشلهَ وانهياره.. مستغلًا العداء التاريخى بين البلدين والشعب المصرى والإسرائيليين، وكذلك الخوف المتجدد داخل الإسرائيليين من مصر، فلا شك أنه منذ انتصار أكتوبر ١٩٧٣ والإسرائيليون يظنون أى شىء فى مصر.. يعرفون قدرتها وقوتها وصلابة شعبها.. وأن المصريين إذا أرادوا شيئًا فعلوه.. كما أنهم يعلمون أن اتفاقية السلام التى أبرمت بين البلدين منذ عشرات السنين، لم تغير من المشاعر والنوايا والواقع شيئًا، لأن فى الباطن هم أعداؤنا الطامعون فى أرضنا دائمًا وأبدًا.

كل هذا يجعله يظن أن اتهاماته لمصر كذبًا سوف يصدقها الداخل الإسرائيلى الذى أصبح يعانى من خلل كبير، كما سيصدقها العالم.. وهذا الذى لم يحدث ولن يحدث، ينهار بعدها نتنياهو ويجدد كذبه لغسل ماء وجهه هو أمام الجميع وأولهم إسرائيل.. يتهم مصر مرة بأنها هى من تعرقل دخول المساعدات وكان ذلك أمام المحكمة الجنائية الدولية، رغم أن السيارات التى تحمل المساعدات يشاهدها العالم كله على الهواء مباشرة وهى تقف عند معبر رفح، والآن يتهمها بتهريب الأسلحة إلى حماس وتعزيز قوتها من خلال محور فيلادلفيا، فهو يحاول دائمًا الزج باسم مصر لتشتيت الرأى العام الإسرائيلى الغاضب بسبب عدم استعادة الرهائن حتى الآن، رغم حرب الإبادة التى يشنها الإحتلال فى غزة، كما قال مصدر مصرى رفيع المستوى حيث جاءت ردود مصر سريعة وحاسمة، فقد أشارت مصر إلى أن تصريحات نتنياهو هى رسالة استباقية لواشنطن برفضه أى مقترحات لوقف إطلاق النار واجهاض لكل الجهود المبذولة للتهدئة والإفراج عن المحتجزين والأسرى، كما أنه يعرقل دور مصر فى الوساطة للوصول إلى الهدنة، وقالت مصر أيضًا إن تصريحات نتنياهو تفتقد الواقعية ويسعى من خلالها تحميل الدول الأخرى مسئولية فشله فى تحقيق أهدافه فى قطاع غزة الذى شهد إبادة جماعية.. وأيضًا أن الأشهر الماضية أثبتت أن نتنياهو لا يهمه عودة المحتجزين الإسرائيليين أحياءً طالما ذلك يتعارض مع أهدافه ومصالحه الشخصية.. الرد المصرى الذى قالت عنه وكالات الأنباء العالمية والصحافة الإسرائيلية يشير إلى أن مصر طفح كيلها من هذه الأكاذيب، وأن الرأى العام غاضب بالفعل من هذه الادعاءات والتضليلات.

ولكن الرد لم يكن شفويًا فقط، بل لحق به الرد العملى، عندما قام الفريق أحمد خليفة، رئيس أركان حرب القوات المسلحة بزيارة مفاجئة لتفقد الأوضاع الأمنية وإجراءات التأمين على الحدود مع غزة، وظهرت التشكيلات العسكرية المختلفة والدبابات على طول الحدود الشرقية لمصر على قطاع غزة، وأمام معبر رفح، وهى الزيارة التى تحمل دلالات وإشارات كثيرة وقوية إلى نتنياهو ورفاقه وإلى كل داعم له.. بأن مصر على أهبة الاستعداد ولا تخشى شيئًا وإذا أرادت فعلت ولكنه صبر الأقوياء.

وعبر مقالات عديدة فى الصحافة الإسرائيلية ندرك تمامًا أن عدم ثقة الإسرائيليين فى نتنياهو يضعه فى توتر كبير، مما يجعله يتخبط ويقول أكاذيب لا يصدقها عقل، مثل ما كتب أمس الجمعة ٦ سبتمبر فى صحيفة (جيروزاليم بوست) الإسرائيلية عندما تساءل الكاتب «دوجلاس بلومفيلد» هل ضحى الرهائن الإسرائيليون القتلى بحياتهم من أجل أن يتمكن رئيس الوزراء بالحفاظ على منصبه، وقال الكاتب إن هذا التساؤل يطرحه كثيرون فى إسرائيل، ويتساءلون كذلك هل يضع نتنياهو مصالحه الشخصية فوق مصالح الشعب الإسرائيلي. وأشار الكاتب أيضًا إلى أن بنيامين نتنياهو أصبح محاصرًا بين قوتين هما الشارع الإسرائيلى والإئتلاف الحاكم، وأن الآلاف نزلوا إلى الشارع مطالبينه بالتوقف عن المماطلة فى التوصل لوقف إطلاق النار والإفراج عن الرهائن.

أما شركاؤه فى الإئتلاف الحاكم فيهددون باسقاط الحكومة إذا ما فعل ذلك.. وأوضح أن إسقاط الحكومة لا يعنى إقالة نتنياهو فقط، وإنما سيذهب إلى المحكمة بتهمتى الرشوة والإحتيال.

ويقول الكاتب أيضًا فى الصحيفة الإسرائيلية إن هناك تساؤلات حول نوايا رئيس الوزراء الحقيقية بسبب إصراره على وجود إسرائيلى فى محور فيلادلفيا، حيث إن هذا المطلب لم يكن من أهداف الحرب التى وضعها من قبل، بل تمت المطالبة به لاحقًا واستخدامه ورقة للمساومة، ثم مطلب غير قابل للتفاوض.. ويشير أيضًا إلى أن الأمريكان فقدوا ثقتهم فى نتنياهو هم أيضًا وليس الشارع الإسرائيلى فقط، وأن صبر بايدن بدأ ينفد بسبب أكاذيبه والمماطلة وتغيير الأهداف فى المفاوضات، كما أنه يتعمد أن يقدم مطالب جديدة غير قابلة للتفاوض.

كل هذا أيضًا يدعم فكرة أن نتنياهو لا يريد إنهاء الحرب.. وكما يبدو أن مصالحه مرتبطة باستمرارها، فهو يخشى أن تنتهى الحرب فينتهى دوره، وليس ذلك فقط، فكما أشار الكاتب الإسرائيلى فإنه سيحاكم بتهم عديدة.

كل هذا يجعله يماطل ويراوغ ويكذب حتى لا تنتهى الحرب.

وتشير استطلاعات الرأى إلى أن رغبات الإسرائيليين مختلفة عن رغبات رئيس الوزراء.. فقد كشف استطلاع للرأى أجرته صحيفة «معاريف» أمس الجمعة أيضًا، أن أغلبية إسرائيلية كبيرة تؤيد انسحاب إسرائيل من محور فيلادلفيا مقابل صفقة التبادل مع حركة حماس، وقالت أيضًا إن الخلافات أصبحت أكثر حدة على صعيد الانقسام السياسى، حيث يحظى الانسحاب من المحور نسبة ٧٥٪..

لذلك فهو يواجه اتهامات كثيرة بأنه يعرقل عن عمد التوصل لاتفاق من شأنه الإفراج عن الرهائن، وهو ما أكدته صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية الشهيرة بأنها حصلت على وثيقة تفيد أن نتنياهو أفسد بشكل فعال فى يوليو الماضى مسودة اتفاق الرهائن، ووقف إطلاق النار.

وما يشير إليه ما تكتبه وتنشره الصحافة فى إسرائيل هو حجم الضغوط التى يتعرض لها نتنياهو وفى نفس الوقت هو يتمسك بمنصبه ولا يريد التخلى عن السلطة، ما يدفعه للكذب والتضليل والإدعاء على مصر.. لتبرير فشله وتمديد عمره فى السلطة.

أغلبية إسرائيلية كبيرة تؤيد انسحاب إسرائيل من محور فيلادلفيا مقابل صفقة التبادل مع حركة حماس

محسن الفحام

تضامن غير مسبوق

لم تشهد مصر تضامنًا عربيًا وإقليميًا، بل ودوليًا مثلما يحدث معها على جميع الأصعدة والأزمات والمواقف التى تتعرض لها حاليًا.. ففى الوقت الذى أطلق فيه رئيس الوزراء الإسرائيلى ادعاءاته وأكاذيبه بأن مصر تساند المقاومة الفلسطينية بشكل أو بآخر كشفت مصر عن الوجه الكذوب لهذا القاتل، وأكدت فشله فى عدم قدرته على السيطرة على النجاحات والضربات التى توجهها حركة حماس، خاصة على ضوء مقتل ٦ من الرهائن التى كانت تحتجزهم للتفاوض عليهم فى وقف القتال والتدمير فى قطاع غزة، والإفراج عن مجموعات من الأسرى الفلسطينيين مقابل الإفراج عن الرهائن..

ومنذ هذا الحادث والإضرابات والاعتصامات لم تهدأ فى إسرائيل وعلى جميع الأصعدة، سواء بين أهالى الرهائن أم المواطنين الإسرائيليين الذين سرت بينهم قشعريرة الخوف من المصير المجهول، الذى يقودهم نتنياهو حاليًا إليه، والذى يسير فيه ضد التيار الداخلى، الذى ينادى بوقف إطلاق النار، والإفراج عن المحتجزين، فضلًا عن الدعوات إلى إجراء انتخابات جديدة؛ بهدف الإطاحة بالحكومة اليمينية الحالية، خاصة بعد توجيه الاتهامات إليه مرارًا وتكرارًا منذ فترة طويلة بالمماطلة فى التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار مع حماس، بل إن العديد منهم اتهمه اتهامًا مباشرًا بأنه السبب الرئيسى لمقتل العديد من الإسرائيليين بسبب عناده وتعنته؛ أملًا فى تحقيق أى انتصار سياسى أو أمنى له، وهذا لن يتحقق إطلاقًا فى عهده المشئوم.. المهم هنا هو ذلك الموقف العربى الموحد، الذى أعلن تضامنه مع الدولة المصرية ورفضه جميع الأكاذيب والادعاءات الباطلة التى يحاول ترويجها؛ للتأثير على الموقف المصرى فى المفاوضات الخاصة بالوضع فى فلسطين، ورفضها الكامل للوجود الإسرائيلى، سواء فى معبر رفح أو محور فيلادلفيا بشكل قاطع وحاسم.. حيث شكلت رسائل التضامن العربى مع مصر ضد تصريحات نتنياهو الاستفزازية حائط صد واصطفافًا عربيًا غير مسبوق مع مصر فى محاولاته اليائسة لتشويه الدور المصرى الريادى والتاريخى فى المنطقة، وجهودها الواضحة فى الوساطة لحل الأزمة فى غزة وإنهاء معاناة الشعب الفلسطينى، حيث أكدت جامعة الدول العربية- لسان حال الوطن العربى- أن محاولات نتنياهو تستهدف التغطية فى رغبته على إطالة أمد الحرب لأسباب سياسية وشخصية وطالب السيد أحمد أبو الغيط، الأمين العام للجامعة العربية، الأطراف الدولية لممارسة الضغوط على إسرائيل؛ للتوصل الى اتفاق لوقف إطلاق النار فى أسرع وقت ممكن.. وفى ذات الاتجاه كان الموقف السعودى والقطرى، بل وجميع الدول الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجى، حيث أعلنت جميعًا رفضها لتصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلى غير المسئولة، التى لا تخدم السلام فى المنطقة، بل وتسهم فى زيادة التوتر وتفاقم الأوضاع، وأكدت ضرورة التزام إسرائيل بالمبادئ الدولية والاتفاقيات الموقعة، وكذلك وقف النهج العدوانى على الشعب الفلسطينى فى غزة وجميع المناطق الفلسطينية، ولم يغفل البيان الصادر من المجلس ذلك الدور المحورى والمهم الذى تقوم به مصر فى تعزيز الاستقرار الإقليمى والدولى، من خلال الجهود المتواصلة فى الوساطة لتحقيق التهدئة فى المنطقة.. وفى بيروت أصدرت الخارجية اللبنانية بيانًا تستنكر فيه تلك الإيحاءات والاتهامات الإسرائيلية وتثمن جهود مصر لخفض التصعيد فى المنطقة.. كذلك الحال بالنسبة للعراق، حيث انضم لحملة التضامن العربى مع مصر وأدان عرقلة الاحتلال جهود وقف إطلاق النار، وأكد تضامنه الكامل مع مصر فى مواجهة هذه المزاعم الباطلة ورفضه محاولات الاحتلال الإسرائيلى تزييف الحقائق وتضليل المجتمع الدولى عبر الأكاذيب المتعلقة بالشريط الحدودى بين قطاع غزة ومصر، مما ينذر بتصعيد خطير فى المنطقة.. وفى الأردن قالت الخارجية الأردنية إن هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة وتهدف إلى عرقلة مفاوضات وقف إطلاق النار الجارية، والتى تلعب فيها مصر دورًا رئيسيًا فى الوساطة بين الجانبين.

هكذا كان الموقف العربى الذى أكد التضامن والاصطفاف، بل والغضب والاستنكار والتأييد لموقف مصر تجاه القضية الفلسطينية، وهو موقف لم نشهده منذ عدة سنوات، لكنه يؤكد أن العرب فى وقت المِحن الحقيقية تتوحد مواقفهم وسياساتهم طالما كانت لصالح الأمن القومى لأى دولة منهم، خاصة إذا كانت مصر هى تلك الدولة التى تحملت وما زالت تتحمل الكثير والكثير من تداعيات الاحتلال الإسرائيلى الغاشم للأراضى الفلسطينية.

وفى زيارة السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى التاريخية إلى تركيا كان الدعم الكامل لمصر تجاه المهاترات والادعاءات الإسرائيلية تجاه مصر، حيث أكدت أن نتنياهو يواصل أكاذيبه للتلاعب بالرأى العام؛ من أجل التغطية على جرائمه فى غزة ومنع وصول مفاوضات وقف إطلاق النار إلى نتيجته.. وهنا يجب أن أشير الى أن نجاح زيارة الرئيس إلى تركيا وتلك التصريحات الإيجابية المتبادلة بين الطرفين سوف تزعج أطرافًا عديدة بالمنطقة، على رأسها إسرائيل بالطبع.. ولا شك أن التوترات التى تشهدها المنطقة فى الوقت الحالى، والناتجة عن حرب الإبادة الجماعية التى تشنها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى تتطلب تنسيقًا على أعلى مستوى بين الدولتين المصرية والتركية، وهو ما تناولته بالفعل مباحثات الرئيسين، التى اشتملت على كيفية التعامل مع رئيس الوزراء الإسرائيلى، الذى يرفض إيقاف المذبحة فى غزة ويعاند حتى شعبه الراغب فى التوصل إلى حل لإعادة المحتجزين الإسرائيليين فى مقابل وقف المذابح.. وهنا نشير إلى ما جاء فى البيان الصادر عن الاجتماع الأول لمجلس التعاون الاستراتيجى بين مصر وتركيا بشأن الدعم التركى للموقف المصرى فى القضية الفلسطينية وتعزيز التعاون بين البلدين لإنهاء العدوان الإسرائيلى والمطالبة بالوقف الفورى له وإطلاق سراح الرهائن والمحتجزين وتدفق المساعدات الإنسانية لأبناء الشعب الفلسطينى.

أقولها وبكل الصدق والأمانة إن كل هذا الدعم والتضامن العربى والإقليمى لمصر ودورها فى القضية الفلسطينية لم يكن ليحدث إلا نتيجة تلك السياسة الشريفة والرشيدة التى ينتهجها السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى، والتى جعلت مصر فى عهده مرجعًا حقيقيًا وواقعيًا ورئيسيًا وعن قناعة دولية أن القضية الفلسطينية، بل ومعظم قضايا المنطقة لن تجد لها طريقًا للحل إلا عن طريق سياسته الحكيمة الرائدة التى أعادت لمصر قوتها وهيبتها فى المنطقة العربية والإقليمية.

كل هذا الدعم والتضامن العربى والإقليمى لمصر ودورها فى القضية الفلسطينية لم يكن ليحدث إلا نتيجة تلك السياسة الشريفة والرشيدة التى ينتهجها الرئيس عبدالفتاح السيسى

كريمة الحفناوى

منتدى التعاون الصينى الإفريقى

عقدت وزارة الخارجية الصينية مؤتمرًا صحفيًا حول حضور الرئيس الصينى شى جين بينج الجلسة الافتتاحية لقمة ٢٠٢٤ لـ«منتدى التعاون الصينى الإفريقى التاسع»، الذى سيتم عقده على مدى ثلاثة أيام فى بكين، فى الفترة من ٤ إلى ٦ سبتمبر ٢٠٢٤، تحت عنوان «تضافر الجهود لدفع التحديث وبناء مجتمع صينى إفريقى رفيع المستوى ذى مستقبل مشترك».

سيتم عقد المؤتمر بحضور القادة الأفارقة، وبحضور رئيس الوزراء المصرى الدكتور مصطفى مدبولى ورئيس مفوضية الاتحاد الإفريقى، والأمين العام للأمم المتحدة ضيفًا، ومشاركة المنظمات الدولية والإقليمية ذات الصلة بصفة مراقب، لتعزيز التعاون الصينى الإفريقى، وتعميق الصداقة لهدف بناء مسارات جديدة للتضامن والتعاون، لتسريع التنمية المشتركة بين الطرفين.

ولقد أطلقت الصين على هامش مشاركتها فى حوار قادة إفريقيا والصين الذى تم عقده فى أغسطس عام٢٠٢٣، ثلاث خطط فى مجال التعاون المشترك، وهى دعم التصنيع فى إفريقيا، ودعم الصين للتحديث الزراعى، والتعاون فى مجال تدريب المواهب والمهارات بين الصين وقارة إفريقيا.

ويتم عقد منتدى التعاون الصينى الإفريقى كل ثلاث سنوات، بالتناوب بين الصين وإفريقيا، وينقسم منتدى هذا العام إلى منتديات فرعية تخصصية تشمل، منتدى السلام والأمن، ومنتدى التعاون بين الصين وإفريقيا والحكومة المحلية، والمنتدى القانونى الصينى الإفريقى، والمنتدى الوزارى حول التعاون الصحى الصينى الإفريقى.

تأسس المنتدى الصينى الإفريقى فى بداية هذا القرن، ويعتبر المنتدى منبرًا مهمًا للحوار الجماعى، وآلية فعالة للتعاون الصينى الإفريقى، يقوم على أساس علاقات الصين المبنية على الصداقة والاحترام والثقة والمنفعة المتبادلة والمصير المشترك واحترام سيادة الدول.

ولقد أشار وزير الخارجية الصينى وانج يى خلال مؤتمره الصحفى الذى عُقد على هامش دورة الهيئة التشريعية الوطنية الصينية، فى مارس ٢٠٢٤، إلى وجود تقليد تجاه إفريقيا، بأن يختار وزراء خارجية الصين إفريقيا، لتكون المحطة الأولى فى زياراتهم السنوية للخارج، وأشار إلى أن هذا التقليد متبع منذ ٣٤ عامًا.

وأضاف « إفريقيا والصين تجمعهما الأخوة، ولقد التقيا معًا كتفًا بكتف ضد الاستعمار العالمى، ومن أجل الدفاع عن العدالة والسلام، وتحقيق التنمية فى عالم متغير.

وتحرص الصين على التكامل الاقتصادى الإفريقى، ولذا دعمت الصين بناء منطقة التجارة الحرة القارية الإفريقية، التى تم الإعلان عنها عام ٢٠١٩، وتهدف لخفض التعريفة الجمركية، وإزالة الحواجز التجارية، وتعزيز وتنمية التجارة والاستثمار داخل المنطقة، وتحقيق التدفق الحر للسلع والخدمات ورأس المال داخل القارة الإفريقية، وتسهيل الوصول للأسواق الإقليمية، وتعزيز سلاسل الإنتاج الصناعى داخل القارة، ليسهم فى المنافسة العالمية.

إن نمو حجم التبادل التجارى بين الطرفين جعل الصين أكبر شريك تجارى لإفريقيا، ووفقًا لمؤشرالتجارة الصادر عام ٢٠٢٣، ارتفعت قيمة التجارة البينية بين الصين ودول لإفريقيا، من أقل من ١٤ مليار دولار أمريكى عام ٢٠٠٠، إلى ٢٦٣ مليار دولار أمريكى عام ٢٠٢٢، ووصل إلى ٢٨٢ مليار دولار أمريكى عام ٢٠٢٣.

وترتكز الواردات الصينية من إفريقيا على المكسرات والزهور والخضروات والفواكه، أما صادرات الصين إلى إفريقيا، سيارات كهربائية وبطاريات الليثيوم، ومنتجات كهرو ضوئية، هذا بجانب الاستثمارات الصينية فى مشروعات البنية الحتية، والطاقة والمشروعات التكنولوجية.

ويهمنى قبل أن أنهى المقال أن أشير إلى أن العلاقات الإفريقية الصينية تطورت بشكل كبير على مدى العقود القريبة الماضية فى جميع المجالات الاقتصادية والتجارية، بجانب التبادلات الثقافية والتعليم والإعلام وتعليم اللغة الصينية وذلك لتعزيز قوة الصين الناعمة فى إفريقيا. هذا بجانب مبادرة الحزام والطريق التى انضمت لها العديد من الدول الإفريقية وتهدف هذه المبادرة إلى تحسين الاتصال والتجارة من خلال تطوير البنية التحتية.

وبالنسبة لتطور العلاقات الصينية المصرية عملت مصر فى السنوات الأخيرة على التعاون بينها وبين الصين فى عدد من المشروعات التنموية فى منطقة قناة السويس، منها الطاقة المتجددة، ومشروعات فى البنية التحتية، ووسائل النقل، كما أسهمت الصين فى المجال العقارى فى العاصمة الإدارية الجديدة، واستفادت مصر من الخبرات الصينية، فى مجال تكنولوجيا المعلومات والمدن الذكية والذكاء الاصطناعى وتم إنشاء كليات جديدة فى المجال التكنولوجى المتقدم بالتعاون مع الصين.

وانضمت مصر لمبادرة الحزام والطريق التى أطلقتها الصين، وبدأت فى تنفيذها مع معظم دول العالم، ومن المعروف أن لهذه المبادرة دورًا كبيرًا فى محور التنمية بقناة السويس، وتنمية طرق التجارة بين الشرق والغرب.

ويهمنى أيضًا أن أشير إلى المؤتمر الصحفى الذى تم عقده فى ٢٤ يوليو ٢٠٢٤، حيث أكد السيد لياو ليتشيانج سفير جمهورية الصين الشعبية بالقاهرة إلى تطوير وتعزيز العلاقات الصينية العربية، وبالنسبة لمصر قال «تتقدم مصر نحو هدف بناء الجمهورية الجديدة وتسعى إلى التنمية والنهضة، وإننى على يقين بأن الصين ومصر ستسجلان فصلًا جديدًا للصداقة والتعاون».

وأصدر الجانبان بيانًا مشتركًا وأعلنا هذا العام عام الشراكة المصرية الصينية، وأكدا ضرورة دفع العلاقات الثنائية من أجل بناء مجتمع المستقبل المشترك.

كما أكد السيد السفير أن الصين تحرص على تكثيف التنسيق مع مصر فى محافل متعددة الأطراف مثل الأمم المتحدة ومنظمة شانغهاى للتعاون، ومجموعة البريكس ومنتدى التعاون الصينى الإفريقى للحفاظ على العدالة الدولية والمصالح المشتركة للدول النامية، مع زيادة التبادل السياحى بين مصر والصين وتسهيل إجراءات التجارة بين البلدين وتسويتها بالعملات المحلية، وتعزيز التعاون فى مجالات الإعلام والثقافة والعلوم والتكنولوجيا والبحوث العلمية والذكاء الاصطناعى.

إننا نأمل أن يدفع المنتدى إلى مزيد من التعاون من أجل خير الشعوب ونُشيد بدور الصين الكبير تجاه القضية الفلسطينية، برفض التهجير القسرى للفلسطينيين من أراضيهم، والإبادة الجماعية التى يقوم بها الكيان الصهيونى العنصرى، والعمل على الإنفاذ الفورى والمستدام للمساعدات الإنسانية لقطاع غزة، وأيضًا دور الصين فى مجلس الأمن والأمم المتحدة، فى دعم ومساندة الشعب الفلسطينى، ودورها فى المصالحة بين الفصائل الفلسطينية وإنهاء الانقسام

إن المنتدى سيكتب فصلًا جديدًا من التعاون الصينى الإفريقى، ومن التفاهم المتبادل، والتقارب والصداقة بين شعبى الصين وإفريقيا، وسيرسل رسالة قوية مفادها بمشاركة إفريقيا والصين فى إصلاح الحوكمة العالمية.

تأسس المنتدى الصينى الإفريقى فى بداية هذا القرن، ويعتبر المنتدى منبرًا مهمًا للحوار الجماعى وآلية فعالة للتعاون الصينى الإفريقى

أحمد الصغير

انتفاضة مصر الإفريقية مشروعة قانونًا وتاريخًا.. سلمية طريقًا وهدفًا

الدولة المصرية تجنح للأمن والسلام واحترام القوانين والنظم الدولية فى سياستها الخارجية. لا تفرط فى حقوق شعبها.. ولا تعتدى على أحد أو تتدخل فى نزاعات بينية بين الدول.. كانت هذه شخصيتها التاريخية عبر أكثر من اثنين وخمسين قرنًا من التاريخ المكتوب.. وفى فترات تاريخية قديمة كانت تملك القوة العسكرية القادرة على الاعتداء، لكن حسمت اختياراتِها حضارتُها ومجموعة القيم الأخلاقية والدينية التى صاغتها لنفسها، ففضلت السلام والعلاقات التجارية مع جيرانها، تلك العلاقات القائمة على احترام حقوق الآخرين. ومن وقتٍ لآخر عانت من محاولات البعض التنكر لتلك العلاقات أو محاولة الجور على حقوقها فردت بما توجبه متطلبات كل اختبار دون تفريطٍ أو خروجٍ عما اختارته لنفسها من سماتٍ سطرتها وثائق التاريخ.

انتفاضة مصر الأفريقية مشروعة قانونًا وتاريخًا.. سلمية طريقًا وهدفًا

وما تقوم به الآن من تحركات فى محيطها الإفريقى لم يخرج عن تلك السمات، فكل ما تقوم به مشروع تماما كدولة تنتمى لقارة إفريقية، ومتسق كليًا مع قوانين الشرعية الدولية. وكل فعل تقوم به مصر جاء التزامًا بمقررات مؤسسات إفريقية أممية وتنفيذًا لتعاقدات ثنائية مشروعة بينها وبين بعض دول الجوار الإفريقى. هذا ما يجب أن يدركه المصريون المعاصرون، وما ينبغى أن يتسم به تعبيرهم عن أفكارهم عبر وسائل التواصل الإجتماعى التى تخضع دون شكٍ لتحليل دقيق من قبل قوى مُعادية متربصة بمصر.

أى دولة من دول العالم لها مساحة مشروعة من الوجود الاقتصادى والثقافى والعسكرى فى محيطها الجغرافى يطلق عليها إجمالًا مصطلح «الأمن القومى» الذى تصوغه الدولة عبر تجاربها التاريخية الممتدة وعبر ما يجد على الساحة الإقليمية الخاصة بها وأيضًا الساحة الدولية. ومصر دولة محورية فى العالم تشكل بوابة إفريقية الشمالية الشرقية وأيضًا بوابة قارة آسيا الغربية. وهى جزء جغرافى وسياسى من إقليم الشرق الأوسط وما يسمى بالعالم العربى. فلها كدولة — كما لغيرها من الدول — أن تحدد مساحة أمنها القومى بما يحفظ لها حقوقها ويدفع عنها مهددات هذا الأمن. لذلك فالوجود المصرى بمختلف صوره وأشكاله ومفرداته فى قارة إفريقية هو أمرٌ طبيعى جدًا. بل أزعم أنه أمرٌ وجوبى وجودى حتمى لا مفر منه، وهو من الأركان القائمة عليها الدولة المصرية منذ آلاف السنوات.

والحديث عن هذا الوجود الحتمى يثير لدى البعض — وأنا منهم — شجونًا كبرى يمكننى اختصارها فى هذه الفقرة التى أقتطعها من كتابى عن منطقة بحيرة ناصر والصادر صيف ٢٠١٠م «لقد فطن حكام مصر دائمًا إلى ضرورة تأمين منابع النيل ومنهم محمد على باشا.. واتخذ الاستعمار البريطانى من مياه النيل أداة للضغط والمساومة، وكانت خطط تخزين مياه النيل الأزرق والأبيض فى السودان توضع تحت تصرف اللورد كتشنر شخصيًا.. لقد كان الوجود المصرى القوى فى إفريقيا هو الحافظ لحقوق مصر التاريخية فى مياه نهر النيل.. وبنت مصر شرعية دورها فى المرحلة الأولى من ١٩٥٢ وحتى ١٩٧٠ على دعم حركات التحرر الإفريقى وأوكلت إلى أحد رجالها — محمد فائق — القيام بهذا الدور. أما المرحلة الثانية التى تلت حرب أكتوبر فكانت امتدادًا ناجحا للمرحلة الأولى وشهدت تعيين وزير دولة للشئون الخارجية — بطرس غالى — كانت مهمته الأولى الملف الإفريقى.. ثم بدأ هذا الدور فى التراجع.. فقد كانت شركة النصر للتصدير والاستيراد تقوم بنشاط تجارى وصناعى كبير فى دول المنبع وكانت تقوم بدور مهم لتطوير العلاقات المصرية مع دول حوض النيل.. لكن تم تصفيتها فى مطلع الثمانينيات مما سبب فجوة كبيرة فى تلك العلاقات».

وفى طبعة محدثة من نفس الكتاب صدرت ٢٠١٩ وبمتابعة ما قامت به مصر فى محاولة استدراك تلك الخطيئة الكبرى جاءت هذه الفقرة.. «انتبهت إدارة مصر الحالية لما وقع فيه السابقون من إهمال العلاقات المصرية الإفريقية وما ترتب على ذلك من تهديد لمصالح مصر المصيرية وترك الساحة الإفريقية لأعداء مصر التاريخيين للعبث بها ومحاولة تطويق مصر من الجنوب.. حيث قام الرئيس السيسى ووزير الخارجية المصرى سامح شكرى بمجهودات ضخمة وجولات مكوكية فى دول القارة وخاصة دول حوض النيل واستطاعت مصر بالفعل استعادة الكثير من دورها الإفريقى الطبيعى فى وقتٍ قصير جدًا..».

على الرغم من أن تعامل نظام مبارك فى ملف المياه – ومنذ انضمام مصر لمبادرة دول حوض النيل قبل عشر سنوات من خروج مبارك من الحكم – كان قويًا وطنيًا، ولم ترضخ الدولة المصرية لكل الضغوط لمحاولة إجبارها على تغيير اتفاقيات دول حوض النيل، لكن للرواية جوانب أخرى قاتمة تخص قضية أشمل وهى الوجود المصرى فى عمقها الإفريقى. إننى — ومن خلال ما هو متاح معلوماتيًا — أدين نظام مبارك بشكلٍ واضح وصريح وأتهمه بارتكاب خطيئة وطنية استراتيجية كبرى، ترتب عليها ما حدث بعد سقوطه، وتحديدًا فى السنوات الثلاث منذ تنحيه فبراير ٢٠١١م وحتى إعادة إحياء الدولة المصرية بعد انتخاب الرئيس السيسى بعد عام من ثورة يونيو وتحديدا يونيو ٢٠١٤م.

فلدينا واقعة تاريخية هامة لم يتم الحديث عنها أو تبريرها أو شرح ملابساتها، وهى قيام مبارك فى بدايات سنوات حكمه باتخاذ قرار ترتب عليه الانسحاب أو التخفيف المخل جدًا بالوجود المصرى فى دول منابع النيل وهو قرار تصفية شركة النصر.

ولدينا خاصة فى السنوات الأخيرة من حكمه سياسة خارجية غلب عليها الاستخفاف بهذا الوجود ومن أهم ملامحها — حسبما ذكرت شخصيات دبلوماسية رسمية — تعيين سفراء فى هذه الدول من غير ذوى الخبرة الكافية بثقافات الدول الإفريقية، وتصدير فكرة فى منتهى السوء للدول الإفريقية – التى كانت تشعر بالامتنان لدولة مصر لما سبق من مواقفها فى عهدى ناصر والسادات — وهى عدم اكتراث مصر لتلك العلاقات مما جعل من هذه الدول صيدًا ثمينًا لتلك القوى المعادية لمصر كما سأوضح.

يؤيد هذا الاتهام ما ذكره بعض المختصين وقمتُ بنشره فى هذا الكتاب بنسخيته، فلدينا شخصيتان رسميتان – أحدهما هو السفير المصرى روبير إسكندر سفير مصر الأسبق فى إثيوبيا، والشخصية الأخرى دكتور بطرس غالى – قدمتا رؤيتهما الخاصة بملف العلاقات المصرية الإفريقية. ففى حوار مع د. بطرس غالى — قبل يناير ٢٠١١م – أشار إلى ما يجب أن تقوم به مصر فى سياستها الخارجية الإفريقية. ولقد أوردت ما ذكره تفصيلا ويمكن اختصاره فى «تعاون عسكرى وحضور شخصيات مصرية عسكرية بعض الاحتفالات بتلك الدول. مشروعات مشتركة فى المجالات التجارية والصناعية كالربط البرى وإقامة مشروعات كهربائية. الاهتمام بتعليم اللغات الإفريقية بين الدلوماسيين والخبراء المشتغلين بهذا الملف.. » وهذا هو ما تبنته إدارة السيسى حرفيًا بعد انتخابه مباشرة ورأينا ثماره مؤخرًا.

أما السفير روبير إسكندر فله حوار منشور ١٢ يناير ٢٠١٦م بجريدة «المصرى اليوم» يذكر فيه ما يمكن اعتباره تسليطًا للضوء على خطايا تعامل نظام مبارك مع قصة الوجود المصرى فى إفريقيا.

لذلك وتوثيقًا لما حدث ولا يعرفه كثيرون أقول إن نظام مبارك قد ترك لمصر كارثة كبرى فى ملف من ملفات أمنها القومى، وقد تم استغلال ذلك بعد أيام قليلة من تنحيه عن الحكم وتحديدًا ٣٠ مارس ٢٠١١م فى مؤتمر إثيوبيا الصحفى الذى أعلنت فيه رسميًا عن المشروع بالاتفاق مع شركة سالينى الإيطالية. ولو لم يقم مبارك بخطوات الانسحاب المصرى من دول المنبع، فلقامت تلك الكوادر المصرية بدورها بعد سقوط نظام الحكم فى مصر سواء بوقف إثيوبيا أو على أقل تقدير بتعطيلها حتى استقرار مؤسسة الحكم فى مصر، أو لقامت باقى دول حوض النيل باتخاذ موقفٍ مساند لمصر، لكن الذى حدث أن الساحة كانت شبه خاليةً من القوى المصرية الفاعلة. ومن تمام توثيق التاريخ أن أقول إن السيسى قد ورث هذه الكارثة الكبرى، ومنذ بدء انتخابه شرع فى محاولة

> أى دولة من دول العالم لها مساحة مشروعة من الوجود الاقتصادى والثقافى والعسكرى فى محيطها الجغرافى يطلق عليها إجمالًا مصطلح «الأمن القومى»

انتفاضة مصر الإفريقية مشروعة قانونًا.. وتاريخًا.. سلمية طريقًا.. وهدفًا

احتوائها مع المؤسسات المصرية المختلفة. والذى لا يدركه كثيرون أن مصر كان يلزمها القيام بخطوات على الأرض حتى تستعيد توازنها الإفريقى الذى استخف به الرئيس الأسبق محمد حسنى مبارك. وبمراجعة سلسلة زيارات السيسى الرسمية فى السنوات الأولى بعد توليه الحكم سيدرك السر خلف تلك الزيارات سواء لدول إفريقية، أو أوروبية مثل إيطاليا، أو دولة عظمى مثل الصين.

فى الظروف الطبيعية العادية، وكما أثبتت حوادث التاريخ، يكون الوجود المصرى فى دول عمقها الإفريقى طبيعيًا ومنطقيًا، ليس فقط من أجل مياه النيل، ولكن حفاظًا على مساحة أمنها القومى، ولسبب آخر أن انتماء مصر الجغرافى الإفريقى يمكنه ببساطة أن يكون بوابة مصر التجارية لتصدير المنتجات المصرية التى تحتاجها تلك الدول كما فعل دائمًا حكام مصر القدامى. لكن فى القرن العشرين خُلق عنصرٌ جديد جعل من هذا الوجود واجبًا حتميًا وجوديًا على كل من يتولى حكم مصر أن يدركه ويضعه كأولوية قصوى لا تقل فى خطورتها عن أولوية تأمين الحدود بشكلها التقليدى. هذا العنصر هو الدولة الصهيونية التى يعتقد بعضنا أن اهتمامها بإقامة علاقات مع دول إفريقية - قريبة من مساحة الأمن القومى المصرى أو تنتمى بشكل مباشر لدول حوض النيل - هو شأنٌ حديث جدًا بدأ مثلًا بعد انهيار دولة مبارك.

تفاجئنا وثائق التاريخ بأن أطماع الصهيونية فى ثروات إفريقيا بدأت حتى قبل قيام دولتها الاستعمارية. فقد قدم شمبرلين عضو حزب المحافظين البريطانى للحكومة مشروعًا لإنشاء وطن قومى يهودى فى أوغندا، ورغم تسميته بذلك فإن المنطقة المقترحة كانت تقع فى نطاق الأراضى الكينية لأهميتها الاستراتيجية لموقعها المتميز على المحيط الهندى. وبعد رفض المشروع قرر قادة الصهيونية تبنى خطة لاستعمار الكونغو عام ١٩٠٣م بجانب فلسطين.

بعد قيام دولتهم ١٩٤٨م تبنى ساستها التاريخيون مبدأ التغلغل فى القارة الإفريقية وخاصة دول حوض النيل. وعبّر عن ذلك بن جوريون قائلًا.. «إن الطريق للسلام فى المنطقة يمكن أن يتم بطريق غير مباشر بتعزيز العلاقات الاستراتيجية مع شعوب إفريقيا.» ثم حدد بشكل واضح رؤيته «إن العلاقات مع إفريقية تحتل المرتبة الثانية فى علاقات إسرائيل مع العالم نظرًا لقرب موقعها الجغرافى ولما تكتنزه هذه القارة من مواد خام تحتاج إليها إسرائيل، ولما تتميز به من أسواق كبيرة تحتاجها لتصريف منتجاتها».

وبدأت بالفعل فى وضع هذه السياسة موضع التنفيذ بمجرد قيام الدولة. واستفادت من حقيقة أن نسبة ١٥٪ من المهاجرين إليها كانوا أفارقة. فمن خلالهم عملت أجهزتها المعلوماتية والأمنية على جمع معلومات تفصيلية عن كل دولة وظروفها الاقتصادية، وثقافتها، وخريطة صراعاتها القبلية، وعن هويات الشخصيات من ذوى القوة فى كل قبيلة وفى كل دولة، وأى العرقيات أكثر نفوذًا، وأى العرقيات يمكنها التعاون مع الدولة الصهيونية. وبدأت فى مرحلة مبكرة فى تقديم منح دراسية لعدد قليل للدراسة العسكرية فى إسرائيل.. قدمت نفسها للدول ذات الغالبية المسلمة أو المسيحية كدولة يدين أهلها بكتاب مقدس، وقدمت نفسها للدول الغارقة فى الصراعات القبلية كمصدر تسليح وهكذا.

تداخلت فى الصراعات العرقية فى كل دولة، فعلى سبيل المثال قدمت مساعدات قبائل التوتسى الحاكمة فى دول منطقة البحيرات الكبرى فى رواندا وبورندى وأوغندا تحت زعم أنها ذات أصول يهودية وهدفت لخلق دولة كبرى للتوتسى تسيطر من خلالها على منطقة البحيرات الكبرى. وساعدت نظام الباجندا فى أوغندا خاصة قوات عيدى أمين، وفى كينيا أقامت علاقات متميزة مع قبائل الكامبا والكيكويو اللتان تعتبران من أهم قبائل كينيا وأكثرها تميزًا اقتصاديًا وسياسيًا. وفى حالات وجود مشاعر عدائية لإسرائيل فقد كانت تساعد الجماعات الإثنية ذات الثقل السياسى خارج السلطة لنشر الفوضى وعدم الاستقرار فى تلك الدولة والمثال الأقوى هو مساعدتها لقبائل الدنكا منذ الخمسينيات خاصة فترة تولى عبود السلطة عام ١٩٥٨م حيث دعمت متمردى جنوب السودان وقتها.

> بعد قيام دولتهم 1948م تبنى ساستها التاريخيون مبدأ التغلغل فى القارة الإفريقية وخاصة دول حوض النيل

حددت إسرائيل أهدافها فى ملف علاقاتها الإفريقية فى بنود واضحة.. أولها الاقتراب من المجرى الملاحى للبحر الأحمر. محاولة استغلال ثروات إفريقية الطبيعية ككل القوى الاستعمارية. الالتفاف حول مصر من الجنوب طمعًا فى تحقيق حلمها القديم فى توصيل مياه النيل إليها. وهو الحلم الذى رفضه اللورد كرومر خوفًا من إغضاب الساسة المصريين وإشعال الموقف الشعبى فى بدء القرن العشرين «١٩٠٣م» حيث يشير هرتزل إلى موافقة بريطانيا على منح إسرائيل مستعمرة يهودية تتمتع بالحكم الذاتى فى الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المتوسط فى سيناء وصحراء النقب، على أن يتم توصيل مياه النيل إلى الصحراء لاستصلاحها، لكن جاء رفض كرومر ليفشل الفكرة.

ومنذ ذلك الوقت لم تنس إسرائيل هذا الحلم، ومن وقتٍ لآخر كانت هناك مشاريع إسرائيلية رسمية مثل مشروع «اليشع كالى» ١٩٧٤م لنقل ١٪ من مياه الميل لتزويد المستوطنات اليهودية فى النقب والضفة الغربية وقطاع غزة بواسطة أنابيب تمر أسفل قناة السويس يصل طولها ٢٠٠كم من السويس وحتى حدود فلسطين.

ومشروع «شاؤول أرلوزوروف» عام ١٩٧٧م الذى يشمل خطة شق قنوات من ترعة الإسماعيلية تمر تحت قناة السويس لدفع المياه العذبة لنقطة سحب رئيسية وبعدها يتم ضخ المياه لارتفاع عشرة أمتار نحو ساحل سيناء وعبر قوات فرعية إلى صحراء النقب. وإغراءً لمصر شمل المشروع ٢مليار مترمكعب من المياه، تستغل مصرُ منها واحد ونصف مليار، وينقل الباقى إلى صحراء النقب.

ونظريًا كانت إسرائيل قريبة جدًا من تقنين حلمها هذا فيما يسمى باتفاقية عنتيبى الموقعة صيف ٢٠١٠ بين دول حوض النيل دون مصر والسودان. وفيها جاء ملحق «المشاطأة» وهو منح الحق لأى دولة من دول حوض النيل أن تنقل جزءًا من مياهه لدولة مجاورة لها متشاركة معها فى شواطئ بحرية. أى أن مصر تنقل مياه النيل لإسرائيل. تم توقيع الاتفاقية كمرحلة أولى فى سبيل الوصول لوضعها موضع التنفيذ.

ثم كان مؤتمر باندونج ١٩٥٥م نقطة فاصلة فى تاريخ سعى إسرائيل لهذه العلاقات مع دول إفريقية، فبعد رفض طلبها بأن تكون عضوًا فى المؤتمر ونجاح مصر فى إصدار قرارات عن المؤتمر تدين إسرائيل وتؤيد الحق الفلسطينى، فقد قررت إعادة تقييم استراتيجيتها تجاه القارة وبدء السعى بصورة أكثر لإقامة علاقات مباشرة مع دول القارة عن طريق التسلل لدولة دولة وإقامة مصالح تجارية أولًا قبل أن تتحول لعلاقات سياسية معلنة.. وفى الفترة الممتدة من هذا التاريخ وحتى عدوان ١٩٦٧م نجحت إسرائيل بالفعل فى إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية واتفاقات عسكرية مع عدد من الدول بينها دول فى حوض النيل «كينيا. الكونغو. أوغندا. بوروندى. إثيوبيا. تنزانيا. رواندا». لكن هذه العلاقات كانت تقابلها مصر بوجود قوى أشبه ما يكون بالمواجهة أو المطاردة السياسية. وفى هذه الفترة تخرج بالفعل طلاب أفارقة من كليات عسكرية إسرائيلية. وأصبح لإسرائيل جماعات مصالح إفريقية.

جددت إسرائيل أهدافها الاستراتيجية فى تلك المرحلة وتلخصت أيضًا فى «التبادل التجارى. الوجود العسكرى القريب من سواحل البحر الأحمر. محاولة تطويق مصر جنوبا والضغط عليها فى ملف المياه».

بعد عدوان ٦٧م قطعت بعض دول القارة علاقاتها مع إسرائيل مما يعد دليلًا قويًا على قوة حضور مصر

انتفاضة مصر الإفريقية مشروعة قانونًا وتاريخًا.. سلمية طريقًا وهدفًا

الإفريقى وقتها، ومن هذه الدول «أوغندا. بوروندى. الكونغو. رواندا. تنزانيا. إثيوبيا. كينيا» فمصر قطعًا لا يمكنها أن تمنع دولة من إقامة علاقات ثنائية مع دولة أخرى، لكنها تستطيع أن تُضعف هذه العلاقات بما تقوم به من أنشطة مع الدولة الإفريقية أو ما يسمى بالمواجهة الدبلوماسية والاقتصادية.

قررت إسرائيل بعدها تركيز نشاطها على دول معينة خاصة مع إثيوبيا التى كانت وقتها تطل على البحر الأحمر قبل استقلال إريتريا. كانت سنوات ما بعد عدوان يونيو هى أسوأ سنوات إسرائيل فى علاقاتها الإفريقية وألغت دول إفريقية تعاقدات صناعية وتجارية بالفعل معها بعد فشل إسرائيل فى تنفيذ بعض المشاريع مثل مطار أكرا عاصمة غانا الذى تم بناؤه مرتين من قبل شركات إسرائيلية لسوء التنفيذ وساعدت سياسة التقارب العربى الإفريقى التى انتهجها عبد الناصر فى إبعاد إسرائيل عن بعض الدول الإفريقية، بينما بقيت علاقاتها مع إثيوبيا والكونغو وكينيا.

بعد توقيع اتفاقية السلام تغيرت السياسات الدولية فى المنطقة تمامًا، وأعادت دول إفريقية علاقاتها مع إسرائيل. وهنا يجب توضيح نقطة بالغة الأهمية، حيث يروق للبعض توجيه الاتهامات للدولة المصرية نتيجة توقيع هذه الاتفاقية، ويعتبرون أن الاتفاقية مسئولة عن عودة النفوذ الإسرائيلى المتمثل فى العلاقات التجارية والعسكرية مع دول إفريقيا التى كانت قد قطعت علاقاتها مع إسرائيل بعد عدوان يونيو. وهذه رؤية غريبة تمامًا تعتمد على افتراض أن تبقى مصر دائمًا فى حالة حرب ومواجهة أو هزيمة أو أن يبقى جزء من أرضها تحت الاحتلال كضمان لاستمرار تعاطف الدول الإفريقية ومنع عودة هذه العلاقات الإسرائيلية الإفريقية. هذه فرضية عبثية، لأن كل حرب لا بد أن تصل لنقطة اتفاق أو تفاهامات سياسية أو هدنة أو تعايش، ولأن مصر بعد استعادة أرضها كان أمامها تحديات اقتصادية كبرى وواجبات تجاه مواطنيها.

لكن ما يتجاهله أو يجهله أصحاب هذه الرؤية هو أن للسلام استراتيجيته وخططه لضمان استمرار الحفاظ على حقوق الدولة ومصالحها، كما للحرب استراتيجيتها أثناء المواجهة العسكرية. بمعنى أن توقيع اتفاقية سلام لم يكن يعنى أن يتبع ذلك أن تنسحب مصر من محيطها الإفريقى، أو أن يعتقد ساسُتها أن صراعها مع الكيان قد انتهى بوضع نهاية للمواجهات العسكرية، ففى مرحلة ما قبل يونيو أقامت إسرائيل علاقاتها مع دول إفريقية بالفعل، وكانت مصر حاضرة بقوة ودافعت عن مصالح مصر، وظهر هذا الحضور فى موقف نفس هذه الدول بعد عدوان يونيو حين قطع معظمها علاقاتها مع الكيان الصهيونى.

كان هذا هو المفترض أن يحدث بعد توقيع اتفاقية السلام. أن يكون لدى الإدارة المصرية الخطة السياسية البديلة لحالة الحرب.. خطة استراتيجية السلام فى القارة الإفريقية بما يحافظ على المصالح المصرية القومية الكبرى التى لا تتغير بمجرد الانتقال من حالة مواجهة الكيان عسكريا إلى حالة توقيع اتفاقية سلام معه، ببساطة لأن الكيان لم يقم – نتيجة هذه الاتفاقية – بتغيير خططه فى التغلغل إفريقيا، بل على العكس فقد استغل الحدث أحسن استغلالٍ ممكن فسارع بتدشين علاقات علنية مع كثير من دول القارة وانتقل رجال أعماله وخبراؤه بصورة مكثفة للعمل فى هذه الدول.

فماذا فعلت مصر فى الثمانينيات والتسعينيات فى مواجهة هذا النشاط الصهيونى المكثف؟.

مرة أخرى نعود لنقطة سياسية مصر فيما بعد توقيع هذه الاتفاقية أو بمعنى أوضح فى عهد مبارك. توقيع اتفاقيات دولية بهذه الخطورة يلزم معه دراسة كل الآثار السياسية المترتبة عليها، ومن ذلك موقف الدول الإفريقية – التى لم تعد ترى سببًا لاستمرار مقاطعتها للكيان – والدولة المصرية كانت تعلم يقينًا مدى شراهة الكيان لالتهام خيرات هذه الدول والسيطرة على قراراتها السياسية وأيضًا استغلال بعضها فى جولات الصراع المستمرة ضد مصر. لكن مما يعلمه الباحثون وقاموا بنشره عن سياسة مصر فى عقود الثمانينيات والتسعينيات، يبدو أن الدولة المصرية لم تقم بما كان يتوجب عليها القيام به، وهذه هى كلمة السر الكبرى فيما واجهته مصر بعد تنحى مبارك عن الحكم فيما يخص أزمة المياه كمثال صارخ على تراجع الوجود المصرى فى إفريقيا عما كان سابقا فى العقود منذ قيام دولة الكيان وحتى توقيع اتفاقية السلام. قرار السلام برىءٌ تماما من هذا الاتهام غير المنطقى. إنما ما تبعه من توجه للدبلوماسية المصرية – تنفيذًا لتوجه سياسى – أو النشاط المصرى العسكرى والتجارى والثقافى فى دول العمق الإفريقى هو المسئول تمامًا.

ويمكننا بسهولة مقارنة موقفين، الأول هو ما بعد عدوان يونيو وقيام الدول الإفريقية بمساندة الدولة المصرية رسميًا نتيجة أداء مصر السياسى السابق للعدوان، والموقف الآخر ما حدث بعد أحداث يناير ٢٠١١م وتعامل دولة إفريقية مع أخطر قضايا مصر بمنطق انتهازى سياسى خالص، ثم ما حدث بعد ثورة يونيو وموقف أفريقية وانضمامها لأبواق القوى الاستعمارية التى أرادات إجهاض إرادة المصريين. وأى مقارنة عادلة سوف تضع الحقيقة كاملة أمام من يريد أن يعرفها.

إن بعض المشاهد والأخبار التى تابعناها بعد تنحى مبارك، وأشهرها خبر وصور «برطعة» مجموعة من وزراء الكيان بصحبة رجال أعمال يهود كبار فى بعض دول حوض النيل وتوقيع اتفاقيات شراكة زراعية وتجارية لم يكن بمنطق إن مصر قد سقطت، فهيا الآن لنحصل على ما نستطيع الحصول عليه. لكن هذه المشاهد كانت تتويجًا لسياسات استمرت خلال العقود الماضية وتحديدًا منذ نصر أكتوبر ثم توقيع اتفاقية السلام وما ذكرته عن كلٍ من الأداء المصرى المتراجع فى مقابلة الأداء الصهيونى. لقد كان بالفعل لإسرائيل مصالح تجارية وشراكات صناعية وزراعية وعسكرية فى بعض دول حوض النيل، وغالبيتها تم تدشينها فى عقدى الثمانينيات والتسعينيات. فى الوقت الذى انكبت فيه مصر وانغمست سياسيًا فى ملهاة الشرق الأوسط.. وفى نفس الوقت الذى كان المصريون يتمايلون طربًا لأغنية شعبان عبدالرحيم الذى يتغزل فيها فى وزير الخارجية المخضرم. كنا غارقين فى هذا المشهد العبثى وخصصنا له غالبية دبلوماسيينا الكبار من ذوى الخبرة والقدرة، بينما تركنا عمقنا الإفريقى شبه خالٍ ترتع فيه الذئاب.

إن أكبر انتصارات القوى المعادية لمصر فى ملف أزمة المياه قد حققته فى العامين اللذين انشغلت فيهما مصر فى تخليص نفسها من براثن جماعة الإخوان. وإن إنهاك مصر فى الأعوام الأولى من حكم السيسى اقتصاديًا ومخابراتيًا وعسكريًا فى حرب سيناء ضد ميليشيات الجماعة قد أجهض كثيرًا من جهد مصر فى محاولة إدراك ما خسرته مصر إفريقيا. إننى أكره جماعة الإخوان كراهية شديدة، ليس فقط لأنها جماعة شبت منذ نشأتها وطعمت وأطعمت رجالها ونساءها وأطفالها من حرام خيانة البلاد رسميا وبشكلٍ معلن ومارست الخيانة طوال العقود السابقة ولم تترك أى لحظة محنة

> لقد كان بالفعل لإسرائيل مصالح تجارية وشراكات صناعية وزراعية وعسكرية فى بعض دول حوض النيل

انتفاضة مصر الإفريقية مشروعة قانونًا وتاريخًا.. سلمية طريقًا وهدفًا

مصرية دون أن تمارس أحط سلوك الخيانة ولم تخجل من توثيق ذلك، وليس فقط لأنها جماعة إفك فكرى وامتطاء لأسمى ما أودعه الله على الأرض وهو رسالاته السماوية، ولكن أيضًا ولسبب ثالث أدركتُه وهو يحدث يوما بيوم، وهو أنها كانت فى الفترة من ٢٠١١م وحتى ٢٠١٨ تتخندق فى خندق واحد مع قوى تحارب مصر فى أخطر ملفات الحياة والأمن القومى وهو ملف النيل. فى العامين من ٢٠١١م وحتى وصولها للحكم أنهكت أجهزة مصر وشغلتها وهيأت الظروف كاملة لتلك القوى لتحقق على الأرض ما عجزت عن تحقيقه فى وجود الدولة المصرية حتى فى أوهن حالاتها. وفى ذروة انشغال مصر فى حرب تحرير أرضها من ميليشيات الجماعة كان على مصر أيضًا أن تخوض مواجهة ضد الدولة الإفريقية المستخدمة، لكن مصر خاضت المواجهة وهى متأخرة جولة كاملة. ولن أنسَ ما حييتُ ذروة مشهد الخيانة.. مؤتمر محمد مرسى على الهواء مباشرة.. رئيس دولة يخون بلاده ويذيع خيانته على الهواء مباشرة. ولأن دماءهم وعقولهم وأوراحهم ملوثة بفيروس الخيانة منذ إرضاع الجماعة الحرام لهم، فهم حتى وإن وصلوا لحكم البلاد فلا يأنفون من ممارستها لا وعلى أعلى مستويات القيادة.

كما أكره نظام مبارك كراهية مماثلة لما قرأته وتابعته مما اقترفه فى حق مصر فى الملف الإفريقى، ونظام مبارك وجماعة الإخوان — من وجهة نظر معلوماتية خالصة — شريكان فى أخطر ما واجهته مصر عبر تاريخها فيما يخص نهر النيل بعد تنحيه عن الحكم.

وأدين كثيرًا من الوجوه التى قدم أصحابُها أنفسهم للمصريين قبل يناير ٢٠١١م على أنهم من نخبة مصر السياسية والمثقفة.. وحين وُضِعوا موضع الاختبار العملى الحقيقى ثبت تهافتهم معلوماتيًا وسياسيًا وعدم جدارتهم بأن يتبوأوا الصفوف الأولى فى أى مشهد عام.. وأقصد هؤلاء الذين كونوا ما يسمى بوفد الدبلوماسية الشعبية وتوجهوا لزيارة تلك الدولة وهم لم يستعدوا ويتسلحوا حتى بالحد الأدنى من ملعومات الملف الذى قرروا التصدى له. لم يقرأوا تاريخ الأزمة ولم يقرأوا موقف مصر القانونى والتاريخى المشروع، لأنهم لو قرأوا لما وقفوا هذا الموقف.. أدانوا دولتهم وسياستها فى ملف السد، وربما يكون أداء مبارك فى هذه النقطة تحديدًا هو أصوب ما فعل فى القضايا الإفريقية كما أوضحت.. صمتوا ورئيس وزراء الدولة المارقة يسخر مما يحدث فى مصر ويطمئن هلعهم بأنه حين يكون فى مصر رئيس منتخب فسوف أتفاوض معه على طريقة مشهد الفيلم الشهير.. لما أحب أخاطب المصريين أكلم مين؟. تحدثوا نيابة عن وطن هم أقل كثيرًا جدًا من تمثيله، لأن كل واحدٍ من الثلاثة الكبار فيهم كان له أهدافه الشخصية.. رجل أعمال وسياحة قرر فجأة ارتداء ثوب السياسى بصورة هزلية لا ترقى لما كانت مصر تواجهه، وسياسى عاطل يتحرق شوقًا ليتبوأ أى منصب وهو خاوٍ تماما من أى قدرات حتى على إدارة فرن خبز بلدى مع كامل الاحترام لكل من يعمل بهذه المهنة الشريفة.. وأستاذ أكاديمى كنت أتمنى لو نأى بنفسه عما لا يستطيع فعله ويحتفظ بوقاره الأكاديمى وقاوم شهوة ممارسة السياسة وبريق الأضواء.. بعد سنوات قدم هذا الأستاذ الأكاديمى اعتذارًا منشورًا عن المشهد كشف فيه كم كانوا صغارًا.. لكنه اعتذارٌ غير مقبول ومردود على صاحبه.

هذه هى التركة الملتهبة التى ورثها السيسى حين تصدى للمشهد وهو يدرك جيدًا ما وراء هذا المشهد. أدركه بشكلٍ حقيقى واقعى دون الغرق فى الأوهام، وأيضًا دون اليأس من محاولة إدراك ما خسرته مصر. وهذا هو معنى كلمة الرئيس أنه كان يدرس معنى كلمة دولة لعقودٍ طويلة. حين تولى السيسى حكم مصر اعتقد كثيرٌ من المصريين أن أزمة مصر فقط فى الخلاص من جماعة الإفك والدم وإدراك الاقتصاد قبل أن ينهار، لكن الرجل كان يدرك أن مأساتنا أكبر وأعمق من هذا بكثير. فلكى ننتقل من شبه الدولة إلى دولة أو إلى مصر تحديدا وبالحد الأدنى من مقوماتها التاريخية، كانت تنتظره كتل كبرى من اللهب والجمر، وإحداها كانت محنة مصر الإفريقية التى تركها لنا نظام مبارك.

وكان هذا الإدراك هو محرك سياسة مصر الخارجية منذ الأيام الأولى من أول ولاية للرئيس السيسى. بدأت جولاته المكوكية فى دول لم تطأها أقدام رئيس مصرى منذ عصر عبد الناصر. وزارة الخارجية المصرية صوبت خطايا السابقين بأن تولى وزير الخارجية المخضرم سامح شكرى ملف العلاقات المصرية الإفريقية. نجحت مصر فى غضون سنوات قليلة فى تصويب المشهد السياسى فتحول موقف المؤسسات الإفريقية من مطالبات بفرض عقوبات على مصر بعد ثورة يونيو مباشرة ونقل مقرات إفريقية خارج مصر، إلى ترؤس مصر لفعاليات رئاسية إفريقية، وصولًا إلى توقيع اتفاقيات تبادل تجارية وعسكرية لم يرَ المصريون أثرها إلا مؤخرًا جدًا، بينما يعرفها تمامًا كل المتابعين والباحثين.

علينا أن ندرك أن تحركات مصر أو انتفاضة مصر الإفريقية الحالية هى ليست إلا تصويبًا لأخطاء وخطايا سابقة، وأنها انتفاضة مشروعة بحق الجغرافيا لانتماء مصر الجغرافى، وبحق التاريخ المكتوب، وأخيرًا بحق شريان المياه والحياة الذى لن تتنازل مصر قطعًا عن حقها فيه لأنه الحق فى الحياة. هى انتفاضة مشروعة وسلمية تمامًا. مصر تتحرك طبقًا للقوانين الدولية. وعلينا أيضًا أن ندرك أن ما قامت به مصر من جهدٍ فى السنوات القليلة الماضية لا يتعاطى فقط مع قضية واحدة بذاتها أو قضية المياه، وأنه بالوصول لنقطة توافق حول هذه النقطة تنتفى الحاجة إلى هذه التحركات. فالوجود المصرى والتفاعل المصرى فى دول القارة وخاصة دول حوض النيل ينبغى أن يكون أحد أركان السياسة المصرية الخارجية الدائمة. هناك طرف آخر قام بالفعل باستغلال تراجعنا فى عقودٍ بعينها، ولا نريد أن نكرر أخطاءنا مرة أخرى. علينا أن ندرس تاريخنا الإفريقى جيدًا وأن نسلح به كل من يتولى موقعًا أو منصبًا دبلوماسيًا مصريًا فى دولة إفريقية. ربما تكون هذه فرصة مناسبة لبدء تاريخ مصرى جديد يتناسب مع طموحات الدولة المصرية ويحمى أمنها القومى لعقودٍ أو قرونٍ قادمة وأتمنى ألا تضيع هذه الفرصة من أيدينا فربما يكون من الصعب تكرارها فى ظل ما تتعرض له مصر من مؤامرات وتهديدات من حدودها الأربعة. كلمة نهاية لوجه الحق والحقيقة.. على المصريين أن يدركوا أن هذا الرجل ستتم محاربته فى الفترة المقبلة بشكلٍ هستيرى من خونة الجماعة بالداخل بالتزامن مع القوى الخارجية التى أزعجها بالفعل هذه الانتفاضة المصرية الإفريقية الحالية. هى ليست حربه الخاصة، لكنها حربنا نحن.. حرب مصر.. على نخبتنا الحقيقية توعية المصريين بحقائق القصة ليدركوا ما نواجهه الآن تحديدًا. هذه التحركات وهذه الانتفاضة ليست رفاهية أو طموح قيادى شخصى، لكنها مفردة من مفردات وجود الدولة المصرية ذاتها!

> علينا أن ندرك أن تحركات مصر أو انتفاضة مصر الإفريقية الحالية هى ليست إلا تصويبًا لأخطاء وخطايا سابقة

حسين عثمان

كواليس مذكرات عاطف بشاى

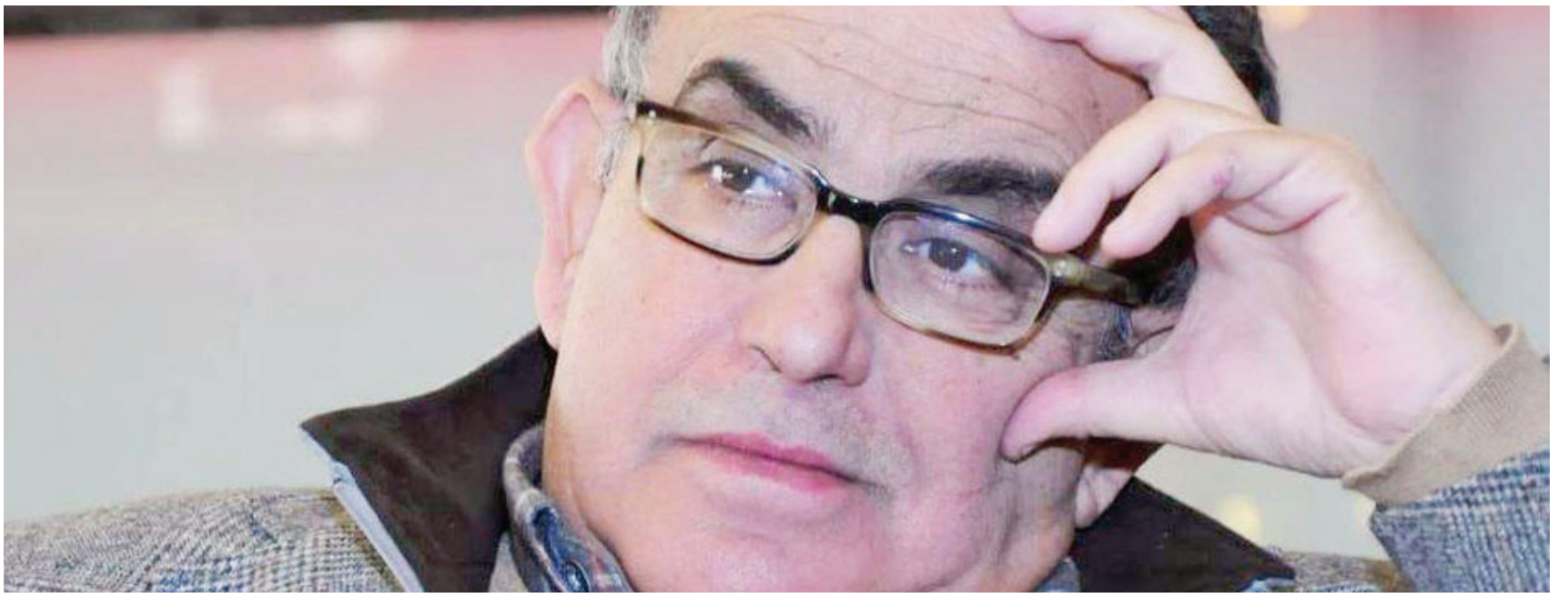

«حكاياتى فى دفتر الفن» مجرد بداية عاطف بشاى راجع مذكراته بدأب من يُتقن عملًا أحبه ومنحه طاقة عمره انتبهت إلى وصيته بعد إصابته بنزيف فى المخ.. فى يناير الماضى أثناء إجازته السنوية المتزامنة عادةً مع معرض القاهرة الدولى للكتاب، اقترح على الكاتب الصحفى الصديق توماس جورجيسيان، المُقيم فى الولايات المتحدة الأمريكية ويكتب من هناك مراسلًا عدة صحف ومجلات عربية، اقترح أن نلتقى السيناريست الكبير عاطف بشاى والكاتب الصحفى بـ«الأهرام» سمير شحاتة عقب انتهاء فعاليات المعرض، ورحبت بشدة وقتها فالصحبة جميلة والجلسة حتمًا سوف تكون ثرية وممتعة، والتقينا مساء إحدى ليالى شتاء مصر البارد نسبيًا فى منطقة الكورنيش بحى مصر الجديدة، توافقنا على مكان مرتبط إلى حدٍ كبير بالمنطقة والحى، وكأنه قاسم مشترك يجمعنا دون أن ندرى ويأخذ مساحته فى وجدان كلٍ منا، نعم هو «لوشانتيه».

كنت والسيناريست عاطف بشاى أول الحاضرين، وهو ما منحنا فرصة التعارف الشخصى والحديث عن تجربة دار ريشة للنشر والتوزيع طوال أربع سنوات من عمرها، وخاصةً فيما يتعلق بتخصصها فى نشر السيرة والمذكرات واهتمامها بإعادة التأسيس لقيمة الفن، وأيضًا صدى مشاركتها لأول مرة بجناح مستقل فى معرض القاهرة الدولى للكتاب المُنقضى لتوه وأحوال القراءة والنشر فى العموم، ومن جانبى استعدت بعض ما ترك أثره فى تكوينى من أعمال السيناريست الكبير، وفى مقدمتها أعمال سيد الرواية العربية نجيب محفوظ والساخر الكبير أحمد رجب، وكيف أن الفن هو أكثر ما يؤثر فى تكوين الإنسان إيجابًا أو سلبًا، ورصدت وأنا أتحدث لمعة عين عاطف بشاى المُعبرة عن سعادة بالغة بوقع أعماله فى نفوسنا، ولم تَفُتْنى أيضًا مسحة حزنٍ تخللت هذه اللمعة ألمًا وحسرةً من الغياب عن الساحة نحو خمسة عشر عامًا منذ أن قدم آخر أعماله مسلسل «تاجر السعادة» بطولة الراحل خالد صالح وداليا مصطفى وهالة فاخر وإخراج شيرين عادل.

انضم لنا توماس جورجيسيان ومن بعده سمير شحاتة، وسادت «النوستالجيا» أو الحنين إلى الماضى الجلسة المنطلقة بروح ومرح أصدقاء عمر، حتى وضع أمامى السيناريست عاطف بشاى ملفًا مطبوعًا يحمل اسمه وعنوان «حكاياتى فى دفتر الفن» كان بحوزته من بداية الجلسة وبالقطع لاحظته كناشر يهتم بكل ما يتصل بالتوثيق، وما أن بدأ «بشاى» يطرح مضمون حكاياته فى دفتر الفن، وكيف أن النسخة المطبوعة التى بحوزتنا هى الوحيدة، حتى أبديت حماسى لنشرها من واقع تقديرى لقيمة المبدع الكبير وكيف أن مذكراته تُعَدُ توثيقًا ليس فقط لمسيرته الحافلة وإنما لفاصل هام من تاريخ الفن المصرى، وانتهت الجلسة الممتدة لعدة ساعات باتفاق على نشر مذكرات عاطف بشاى فى صيف العام الجارى، وأخذنا صورة جماعية تذكارية أصبحت الآن الوحيدة لنا معًا بعد وفاة السيناريست الكبير يوم الجمعة ٣٠ أغسطس الماضى.

كان رحمة الله عليه يتابعنى كل آن وآخر فى كل مراحل إنتاج الكتاب، حاز غلاف الكتاب إعجابه بألوانه وتصميمه المُبهج وفى صدارته صورة عاطف بشاى بطلَته المُبهجة المُعبرة بحق عن شخصيته فى الواقع، وبتوجيه «الأستاذ» أبدى ملحوظات كانت فى محلها تمامًا بخصوص بروفة مَتن الكتاب بعدما راجعها بدأب من يُتقن عملًا أحبه ومنحه طاقة عمره، وبينما يأخذ الكتاب طريقه إلى المطبعة علمت بخبر إصابته بنزيف فى المخ نُقل على أثره راقدًا فى غيبوبة بمركز الحياة الطبى ويقع خلف «لوشانتيه» مقر عاطف بشاى المُفضل وكأنه لا يُطيق الابتعاد عنه حتى فى مرضه، عُدت بعدها بعدة أيام إلى محادثات الـ«واتس آب» فيما بيننا بدافع التواصل للاطمئنان عليه متوقعًا الرد من أحد أفراد الأسرة، فإذا بى ألتفت مُجددًا إلى أغلفة مجموعة من مؤلفاته السابقة أرسلها لى قبل أزمة مرضه دون أى تعليق، انتبهت هذه المرة وسألت نفسى: هل يوصينى الأستاذ بمؤلفاته؟.

كنت أنتظر رسالة مطمئنة من أسرة عاطف بشاى متابعًا تطورات حالته الصحية عبر الصحف والمواقع الإلكترونية والأصدقاء المشتركين، حين جاءنى صوته ينطلق فرحًا عبر رسالة صوتية يطمئننى بنفسه شاكرًا وممتنًا لسؤالى وآملًا فى لقاء قريب يجمعنا نتصفح فيه النسخ الأولى من مذكراته «حكاياتى فى دفتر الفن»، وعقبت على رسالته بتحقيق أمنيته قريبًا جدًا إن شاء الله، فالكتاب كان على وشك الخروج من المطبعة ونسخته الإلكترونية نُشرت بالفعل على تطبيق القراءة الإلكترونية «أبجد» ولاقى احتفاءً وصدىً طيبًا، وما زاد من اطمئنانى على صحة الأستاذ رحمة الله عليه أنه راسلنى كالمعتاد بمقاله الأسبوعى فى «المصرى اليوم» وجاء تحت عنوان «انت كويس؟!.. تمام» وفيه واصل عاطف بشاى «تشخيص» ولا أقول «تشريح» ما وصل إليه المجتمع المصرى فى الإساءة إلى لغتنا الجميلة اللغة العربية، وكان المقال السابق عليه بنحو شهر تقريبًا فى الجريدة نفسها بعنوان «بين الزمن الجميل.. والزمن الضنين»، وليت هناك من يقرأ.

دخل الأستاذ عاطف بشاى فى غيبوبة جديدة بعد انتكاسة صحية نتيجة مضاعفات التهاب رئوى حاد أصابه من طول إقامته بالرعاية المركزة، وبالتزامن خرجت النسخ الأولى من مذكراته «حكاياتى فى دفتر الفن» من المطبعة بعدما اجتهدت فى أن يراها الأستاذ حال إفاقته من الغيبوبة فى أى وقت، وبالفعل فى نهار الجمعة ٣٠ أغسطس تواصلت مع ابنته السيدة نجلاء واتفقنا على إرسال نسخ الكتب لها مساء نفس اليوم، ولكن لم تمض ساعات قليلة يومها حتى جاءنى خبر وفاة الأستاذ رحمة الله عليه، ولم أندهش من عاصفة رثائه على صفحات السوشيال ميديا، فالرجل حاضر بأثر نحو ٥٥ عملًا دراميًا فى السينما والتليفزيون، تعاون فيها مع كبار المؤلفين والمخرجين والفنانين، واستطاع أن يترك بصمته وملامح روحه الساخرة فى عدد كبير منها، وبصرف النظر أحيانًا عن اسم أو وزن مؤلف القصة أو الرواية، فقد كان عاطف بشاى يعلم جيدًا قيمة السيناريو كعمل إبداعى مستقل بذاته، يعيد من جديد خلق القصة أو الرواية فيبث فيها السيناريست من روحه لحمًا ودمًا بل ويأخذها أحيانًا إلى مناطق لم تخطر على بال مؤلفها، وهو ما نحتاج إلى إعادة تأسيسه فى تكوين الجمهور ومعه أيضًا صُناع الدراما.

صحيح أن عاطف بشاى رحل عن دنيانا، ولكن مثله يظل حاضرًا بإبداعه مهما غاب، فهو من زمن الدراما فى عصرها الذهبى، وقتما كان النص هو البطل، والمخرج هو سيد العمل الفنى، والتصوير لا يبدأ إلا بعد انتهاء الكتابة، والعرض لا يبدأ إلا بعد انتهاء التصوير، لذلك عاشت هذه الدراما الحقيقية محفورة داخلنا نذكرها باسمها قبل اسم أبطالها، فلترقد فى سلام أستاذنا الكبير، وإن كنت لم تشهد مذكراتك آخر ما كتبت بعد خروجها إلى النور، فالوعد هنا قائم بأن نستمر فى إحياء سيرتك من خلال جهود متواصلة ومستمرة تواكب مسيرتك الإبداعية الحافلة، مذكراتك «حكاياتى فى دفتر الفن» مجرد بداية والبقية تأتى إن شاء الله.

> كان عاطف بشاى يعلم جيدًا قيمة السيناريو كعمل إبداعى مستقل بذاته يعيد من جديد خلق القصة أو الرواية

محمد السيد صالح

أحلام المياه الجوفية بالصحراء

التقليب والتدقيق فى الأرشيف الصحفى يكشف لنا اتجاه تقدمنا.. وهل تغيرت قناعاتنا الصحفية والعلمية فى الوقت الحالى عما كانت عليه من قبل أم لا؟.. بالصدفة، عثرت على هذا المانشيت لجريدة الأهرام عدد ٢ سبتمبر ١٩٧٧:

اكتشاف أكبر خزان فى العالم للمياه الجوفية فى الصحراء الغربية

نتائج بالغة الأهمية تكشفها دراسة كلف بها الرئيس قطاع البترول

٦٨٦ مليون متر مكعب مياه يمكن استغلالها سنويًا من خزان جنوب القطارة

آثار واسعة على اقتصاديات مصر يحققها الكشف الكبير

كلما ظهرت مشاكل مياه ثقيلة فى مصر، تنشط الأحلام حول وجود أنهار من المياه الجوفية تجرى وتتدفق تحت صحراء مصر.. هذه الأحلام تستهدف الصحراء الغربية أكثر من الصحراء الشرقية.

ومع تفاقم أزمة سد النهضة ونية إثيوبيا حجز نسبة كبيرة من مياه النيل الأزرق، مع كل موسم فيضان، ورفض أديس أبابا الاستماع لصوت العقل، والتنصل للقانون الدولى واتفاق إعلان المبادئ الذى سبق ووقعته مصر والسودان وإثيوبيا، يهرب العقل الجمعى فى مصر إلى حلول غير تقليدية تتجاوز نهر النيل، إلى مشروعات، بعضها تختلط الأحلام فيه بالأوهام، مثل الحصول على حصة من المياه عن طريق أنابيب عملاقة من نهر الكونغو.. ولكن المستقر حاليًا، هو استغلال الأنهار الجوفية التى تتدفق فى الصحراء الغربية!

الغريب أن بعض مدعى العلم يتحدثون فى القضية دون معلومات دقيقة، ونشطت الأوهام حول نفس الموضوع خلال الأسابيع الماضية، مع السيول التى شهدها السودان وبعض الدول الأخرى من حولنا. وحينها تأثر جنوب مصر وصولًا لأسوان بهذا الطقس المتقلب، وشهدت المنطقة أمطارًا غزيرة وتدفقت عدة أودية بالصحراء وفاضت بالمياه.

ونتيجة لهذا الوضع، نشطت أحلام زيادة المخزون الجوفى للمياه، وظهرت إلى جوار ذلك، شائعات أخرى، منها أن السيول قد كشفت عن تلال من الذهب كانت مطمورة تحت التربة ثم كشفها تدفق المياه من فوقها! مثل هذه الأحلام عمرها قصير جدًا ومردود عليها علميًا، وينبغى تفنيدها بسرعة. أمل مصر فى قضايا المياه وتأمين احتياجات الشعب، ينبغى أن يُبنى على قواعد سليمة ومنطقية. وأولى هذه القواعد أن نغير من تعاملنا مع أديس أبابا ومن يشجعها، سرًا وعلنًا، وإجبارها على اتخاذ مواقف متشددة فى قضية مياه نهر النيل.. حتى لو وصل الأمر إلى حد تهديدها وترويعها عسكريًا.. وإقامة تحالفات واتفاقات واسعة مع دول الجوار. وأعتقد أن الأسبوعين الأخيرين قد شهدا إجراءين مهمين، الأول تمثل فى توقيع البروتوكول الأمنى مع الصومال وتدريب الجيش الوطنى هناك وإمداده بأسلحة حديثة، والثانى تمثل فى لجوء مصر لمجلس الأمن احتجاجًا على استكمال بناء السد وحجز كميات كبيرة من المياه، ورفض الاتفاق مع دولتى المصب.

هذا هو معالم التحرك الإيجابى، دبلوماسيًا وميدانيًا، الذى ينبغى أن نحافظ عليه وندعمه خلال الفترة المقبلة. لقد راهن كثيرون، ومن بينهم رئيس وزراء إثيوبيا أبى أحمد، على أن قبضة مصر قد وهنت وأنها منشغلة أكثر بما يحدث فى غزة واحتلال إسرائيل القطاع، وبحدودها الغربية. وأن غزة وليبيا قد سرقتا الاهتمام من قضية سد النهضة.. وقد اتضح أن هذه الفرضيات غير صحيحة تمامًا. أيضًا، ينبغى أن تذهب أحلامنا، فيما يتعلق بزيادة حصتنا من المياه، إلى التقدم العلمى فى هذا المجال. لقد تقدمت تكنولوجيا تحلية مياه البحر. المنتجعات السياحية فى البحر الأحمر وجنوب سيناء كانت سباقة فى هذا المجال، وتبعتها شركات وطنية أخرى، لكن ينبغى تسريع هذا المجال ودعمه أكثر من ذلك. أتمنى أن تكون المعلومات دقيقة، فيما يتعلق بأن الطاقة الكهربائية المولدة من محطات المفاعلات النووية بالضبعة سيتم استخدامها بالأساس لتحلية مياه البحر.

وخطت الحكومة والشركات الوطنية الكبرى خطوات عملاقة فى اتجاه إعادة استخدام مياه الصرف الزراعى بطريقة آمنة دون إهدار للمياه، وإعادة توجيهها ونقلها للأماكن الزراعية بمشروع «الدلتا الجديدة». وهو مشروع عملاق فى الصحراء الغربية يستهدف زراعة ٢،٢ مليون فدان.

وأخيرًا، فإننى أؤكد أن أحلام وجود أنهار جوفية عملاقة ومتجددة تحت الصحراء، هى أحلام قديمة جدًا. ولقد وصلت إلى مانشيتات الصحف مثلما وصلت أحلام وجود ثروات بترولية عملاقة فى صحراء مصر، وأننا سنسبق دول الخليج فى إنتاج البترول. ثبت أن المعلومات كانت غير دقيقة، وأنها ظهرت للنور عقب نكسة يونيو ١٩٦٧ بهدف تخدير العقول وصرف الناس إلى قضايا جانبية أو منحهم أملًا للمستقبل. ولقد قرأت مقالات لبعض محررى البترول المخضرمين يعتذرون عن مشاركتهم، دون قصد، فى نشر مثل هذه الأحلام الزائفة والكاذبة. هذا عن البترول.. لكن أحلام المياه الجوفية ونهر الصحراء الغربية المتدفق، ما زالت تتكرر وتتضخم، ولم يعتذر أحد عن عدم دقتها!

لقد تقدمت تكنولوجيا تحلية مياه البحر. المنتجعات السياحية فى البحر الأحمر وجنوب سيناء كانت سباقة فى هذا المجال وتبعتها شركات وطنية أخرى

إبراهيم داود

عن نعمان عاشور.. والخوف القديم

نعمان عاشور «١٩١٨- ١٩٨٧» واحد من أعمدة الثقافة المصرية، ليس فقط ككاتب مسرحى صاحب تاريخ عظيم، ولكن لأنه شهد التحولات العميقة التى طالت المجتمع المصرى منذ أوائل أربعينيات القرن الماضى حتى رحيله. تخرج فى كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٤.

ويحكى أنه كان فى كلية الحقوق، وحين أراد التحويل إلى الآداب اختبره طه حسين شخصيًا لكى يتأكد من استحقاقه هذا الشرف، وله مع العميد أكثر من حكاية سأتطرق لها فيما بعد.عاشور الذى ولد فى مدينة ميت غمر محافظة الدقهلية لأسرة ميسورة نسبيًا، وعشق المسرح منذ طفولته، لأن والده كان دائم التردد على شارع عماد الدين، له تجربة فى الحياة تستحق التأمل، لأنها كانت محفوفة بالمخاطر والمفاجآت، جعلته خائفًا، حتى بعد تحققه كأحد فرسان المسرح، ولكنه لم يكتب عنها فى مذكراته الجميلة التى صدرت تحت اسم «المسرح حياتى»، ولكن الأستاذ رجاء النقاش رصد هذه المخاوف فى تقديمه طبعة من كتاب «مع الرواد» صدرت عن مكتبة الأسرة قبل عشرين عامًا، وعثرت عليها قبل أيام عند باعة الكتب القديمة فى شارع رمسيس. صاحب «عيلة الدوغرى» لم يعانِ اقتصاديًا مثل معظم أبناء جيله، «كان بعيدًا كل البعد عن أن يكون صاحب شخصية (زئبقية) مثل بعض أبناء جيله، ممن تعلموا القدرة على المهادنة والتلون، وتغيير الانتماء من موقف إلى موقف، ونفاق الحكام والجماهير على السواء». كان يرى أن الأدب والفن ينبغى أن يتحولا من مجرد التصوير إلى المساهمة فى التغيير، والدعوة إلى فتح طريق جديد للمستقبل الاجتماعى، وهذا الطريق عند صاحب «المغماطيس» هو طريق العدالة الاجتماعية التى تقوم على القوانين والتشريعات والمبادئ المستقرة، كان يؤمن بتوفير الفرص المتساوية بين الناس فى المجتمع. قبل ثورة يوليو اتهم فى قضية مرتبطة باليسار والانضمام إلى تنظيم يسارى محظور، وهى القضية التى استمرت مداولاتها إلى ما بعد الثورة، وحكى للنقاش أنه وهو يتقدم لخطبة زوجته كان لا يريد أن يخفى عليها الأمر، لأنه فى أى لحظة من الممكن أن يصدر عليه حكم، وهى قبلت المخاطرة، وتمت تبرئته بعد ذلك، وتم فصله من العمل من وزارة الثقافة سنة ١٩٥٩ ضمن حملة النظام ضد اليسار. وفى مذكراته حكى عن نبل شخصيتين عظيمتين وقفا إلى جواره: «أذكر فى اليوم التالى لإعلان فصلى مباشرة أنى تلقيت مكالمة تليفونية، وكان المتحدث هو الصديق الكبير الوفى نجيب محفوظ، وهتف الرجل بى ألا أنزعج أو أغضب، وعرض علىّ أن يساعدنى بكل ما أوتى من قوة، وشكرته لهذه العاطفة، بل ولهذه الشجاعة، فقد انقطع عن زيارتى بعدها الكثيرون من أقرب الأصدقاء، وكأنى وباء، أو مرض يجب تحاشيه والبُعد عنه». النبيل الآخر كان الدكتور محمد مندور الذى ذهب إليه فى بيته، وأرسل سائقه لاستدعائه، فنزل عاشور بالبيجامه، وركب السيارة ليفاجأ بأن مندور يسلمه شيكًا على بياض يحدد فيه المبلغ الذى يريده، شكره بالطبع وأبدى امتنانه ولكنه اعتذر عن قبوله، ولكنه وعده بأنه سيلجأ إليه إذا احتاج شيئًا، بعد شهور قليلة تمكن من العمل فى جريدة «الجمهورية»، واستقر بها من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤، إلى أن صدر قرار بفصله هو والعشرات من كبار الكتاب ونقل بعضهم فى شركات نقل الأخشاب ووزارة النقل، وكان من بين المفصولين طه حسين ومحمد مندور!. بعد جهود شاقة التحق بالعمل فى «أخبار اليوم» والتى ظل يكتب لها إلى آخر أيامه. صاحب مسرحيات: «الناس اللى تحت»، و«المغماطيس»، و«حواديت عم فرح»، و«بطولات مصرية»، و«سيما أونطة»، و«عيلة الدوغرى»، و«الجيل الطالع»، و«بحلم يا مصر»، و«صنف الحريم»، و«وابور الطحين»، و«بلاد بره»، و«برج المدافع»، كان مشغولًا أكثر من غيره بالتاريخ المصرى والتقليب فيه، يبحث عن الصفحات النضالية، واهتم كثيرًا بأبطال الفكر والتنوير، قدم «بشير التقدم» عن الطهطاوى، وتحدث عن الجبرتى وطه حسين وسلامة موسى ونجيب الريحانى، وجورج أبيض ومحمود حسن إسماعيل، وبيرم التونسى ونجيب سرور وصلاح عبدالصبور ومحمد مندور وغيرهم من رموز مصر الساطعة. له مع طه حسين أكثر من حكاية، الأولى وهو طالب فى الثانوى فى الثلاثينيات، عندما ذهب مع أقرانه لحماية الرجل الكبير من أعدائه السياسيين، ومرة ثانية وهو يريد التحويل إلى كلية الآداب، بعد ذلك أثناء اللجوء إليه لإعفائهم من المصاريف التى فرضتها إدارة الجامعة فجأة، وكان العميد قبل تركه مقعده قد أعفاهم منها، وحارب من أجلهم ونجح مسعاه، ومرة استدعاه صاحب «الأيام» لأنه كان غاضبًا من كتابة عاشور بالعامية، ومرة لأجل محاورته وأخرى لإعادة استكتابه فى «الجمهورية»، كل لقاء كتب عنه بروح محبة ورهبة فى كتاب «مع الرواد»، كتابة تشير إلى زمن بتفاصيله ومعاركه. كانت آخر أحزان عاشور قبل رحيله هو رفض المسرح القومى مسرحية له كتبها عن الحملة الفرنسية كان سمير العصفورى يحضر لها معه، وكانت الحجة التى قيلت: «الميزانية لا تسمح».

كانت آخر أحزان عاشور قبل رحيله هو رفض المسرح القومى مسرحية له كتبها عن الحملة الفرنسية

أشرف إسماعيل

حسام حسن والتنازل عن جلباب الجوهرى

ترك الجنرال الراحل محمود الجوهرى، المدير الفنى الأسبق لمنتخب مصر، بصماته على كل من تعامل معه، سواءً من الناحية الفنية أو على المستوى الإنسانى، خاصة جيل ١٩٩٠ الذى شارك فى كأس العالم بإيطاليا، ومن بينهم حسام حسن، المدير الفنى الحالى لمنتخب مصر.

محمود الجوهرى بعد نجاحه فى قيادة منتخب مصر للتأهل لنهائيات كأس العالم ١٩٩٠ طلب من اتحاد الكرة عدم استكمال مسابقة الدورى موسم« ٨٩/ ١٩٩٠» واستجاب له اتحاد الكرة وقام بإلغاء الدورى حتى تتاح الفرصة لمنتخب مصر للاستعداد بشكل جيد للمونديال.

حدث ذلك فى عصر الهواية وقبل دخول نظام الاحتراف الكرة المصرية، أما طرح فكرة إلغاء الدورى حاليًا فهى مرفوضة تمامًا، لأننا فى عصر الاحتراف والرعاية بعدما تحولت كرة القدم إلى صناعة، لكن حسام حسن ما زال يحاول السير على طريق محمود الجوهرى ويطلب تخصيص فترات طويلة لمعسكرات المنتخب، وهو ما لا يمكن تحقيقه لأسباب كثيرة.

فى عصر الهواية كان يمكن أن يتوقف الدورى لمدة ٤٠ أو ٥٠ يومًا من أجل معسكرات المنتخب، أما الآن فهناك مواعيد حددها الاتحاد الدولى «فيفا» للمباريات الرسمية والودية، وهو ما يعرف بالأجندة الدولية، وبالتالى لا يمكن إقامة معسكر للمنتخب لمدة أسبوعين مثلًا.

هناك اتفاق على أن تولى حسام حسن تدريب منتخب مصر تأخر جدًا، لكن لسوء حظه عندما تولى المسئولية كانت الظروف عكس ما يريد بسبب النظام الجديد للأجندة الدولية ووجود عدد كبير من اللاعبين المحترفين خارجيًا فى صفوف المنتخب لا ينضمون للمعسكرات سوى قبل المباريات بأيام قليلة، إضافة لمسابقات محلية غير منتظمة وتلاحم مواسم منذ سنوات، لذلك على حسام حسن أن يواكب العصر، وأن يتعامل مع الأمر الواقع، لأن لكل عصر رجاله وظروفه.

إذا نجح حسام حسن فى قيادة منتخب مصر للتأهل لنهائيات كأس العالم ٢٠٢٦ لن يستطيع أن يطلب إلغاء مسابقة الدورى موسم ٢٠٢٥/ ٢٠٢٦ ولا يمكن أن يطلب معسكرًا لمدة ٣٠ يومًا مثلًا قبل المونديال، لأن كل ذلك لن يتحقق بعد أن تغيرت الظروف وأصبحت الأندية تلتزم بإرسال لاعبيها للمنتخب فى المواعيد التى حددها القانون وهى خمسة أيام قبل المباريات الرسمية و١٥ يومًا قبل الدورات المجمعة، لذلك يجب أن يتعامل حسام حسن مع الأمر الواقع وبعقلية تتناسب مع الوضع الحالى.

فى عصر الهواية كان يمكن أن يتوقف الدورى لمدة 40 أو 50 يومًا من أجل معسكرات المنتخب

محمد العسيرى

عن ظاهرة المطرب الملثم

فى بدايات القرن الماضى.. أو ربما قبل ذلك بقليل.. وعندما دخل المسرح إلى حياتنا.. كان المشخصاتية من الرجال يقومون بأدوار النساء.. ذلك أنه لم يكن من الوارد فى ذلك الوقت أن تعمل النساء فى تلك المهنة.. هكذا تخبرنا روايات الكتب.. وهو أمر محير بالنسبة لى.. فعمل الجوارى وغيرهن بالرقص والغناء أسبق من ذلك بكثير، وكثيرًا ما حفلت به قصور الخلفاء وغيرهم من الأعيان والسادة.. المهم هذا ليس موضوعنا.. لكن ما أعنيه أن المصريين تجاوزوا فكرة أن من يؤدى دور الشخصية النسوية رجل.. تعاطفوا معها ليصدقوا الرواية ويتفاعلوا معها.. قبلوا اللعبة بتفاصيلها وقواعدها..

الآن وبعد كل تلك السنوات وما جرى فيها.. جاء إلى المسرح من يرتدى ملابس النساء.. وحلقانهن.. وعلى الأجساد تاتوهاتهن وفى الرقاب سلاسل من سلاسلهن.. ولم يبلع أغلبنا الفكرة.. ولم يتجاوز عن سخفها..

وباسم الموضة ظهر مؤخرًا مطرب.. يدعى «توليت».. وبعيدًا عن الاسم وما يعنيه.. لفت نظرى مثل غيرى شغف الكثيرين بالفكرة.. وبما يفعل ذلك الرجل الملثم.. شغل الناس بمن يكون.. ولم يشغلهم ماذا يغنى؟.. شغلهم لماذا هو يختبئ خلف اللثام؟.. ولم يشغلهم ماذا يريد أن يفعل بلثامه؟.. وقال أعقلهم: أهى لعبة نتسلى بيها، ويومين وتخلص..

ظاهرة الملثم فى حد ذاتها موجودة بكثرة فى تاريخ السير الشعبية.. وتعرضت الدراما المصرية للبعض منها.. ولها أسباب منطقية كانت سببًا فى التفاف الناس حولها وحول صاحبها.. كهروب الملثم من جنود الاحتلال مثلاً.. أو السلطان.. أو أى تكوين مُعادٍ.. حدث ذلك مع على الزئبق.. ومع أحمد بن عروس.. وفى أحوال أخرى مع السيد البدوى.. فى الأولى التخفى بغرض الهروب.. والحيلة.. وفى سيرة السيد البدوى.. كان ملثمًا ليدارى عيبًا قيل إنه مرض جلدى.. لكن الإخفاء أسهم فى صنع أسطورته.. وأصبح لقبه الملثم.. مثل السطوحى لبقائه لسنوات على السطوح.. فهل كان تخفى «توليت» محاولة منه لصنع أسطورة.. حتى وإن كانت أسطورة كاذبة؟

هل فعلها لينشغل الناس بلثامه عن سوء ما يغنى؟

أيًا كانت الأسباب التى دفعت المغنى المجهول لذلك الشكل المسرحى.. الذى وافق عليه المتعهدون وشجعوه.. لماذا يقبل الناس على مجهول فى زمن الكشف والفضح لكل ما هو مستور..؟

الناس ومنذ زمن يحبون فكرة الاكتشاف.. ولذلك نجحت فكرة التسريبات والسيديهات.. وسرى جدًا وغيرها من العناوين المعتادة فى اقتياد عقول الناس وأبصارهم.. نحن عبيد ما نجهل.. نحب ما هو خفى.. وندعو ليل نهار أن ينجينا الله من الغفلة فى ذات الوقت..

على كل حال ربما ينطبق ذلك على أبناء جيلى.. لكن الأجيال الجديدة لا يشغلها ذلك العبث من قريب أو بعيد.. ربما تتسلى به لأيام.. لكن سرعان ما تتجاوزه وتتخطاه للتسلية بفيلم جديد.. موضة جديدة.. افتكاسة جديدة.. الجديد هو ما يشغلهم وليس نوعه.. ولكن فى الوقت نفسه هم مشغولون بكل ما هو جاد إذا شعروا بصدقه..

الشباب هؤلاء لمن يتابع صفحاتهم كانوا الأكثر اهتمامًا بملثم غزة.. ليس لأنه ملثم.. ولكن لما يقوله.. صار أبوعبيدة رمزًا لشهور عند أبناء ذلك الجيل.. وحدثًا مهمًا.. يتابعونه بشغف.. وهم الآن الأكثر ولعًا وشغفًا بما يحدث فى الصومال.. صورة الجندى المصرى المقاتل.. الواضح.. هى الصورة الأجمل فى عيون أبناء هذا الجيل الذى نظلمه كثيرًا عندما نقول إنه صانع ظواهر المطرب المخنث وصاحب الحلق وأخيرًا توليت..

لماذا يقبل الناس على مجهول فى زمن الكشف والفضح لكل ما هو مستور..؟

د. محمد عفيفى

القمص سرجيوس «1-3»

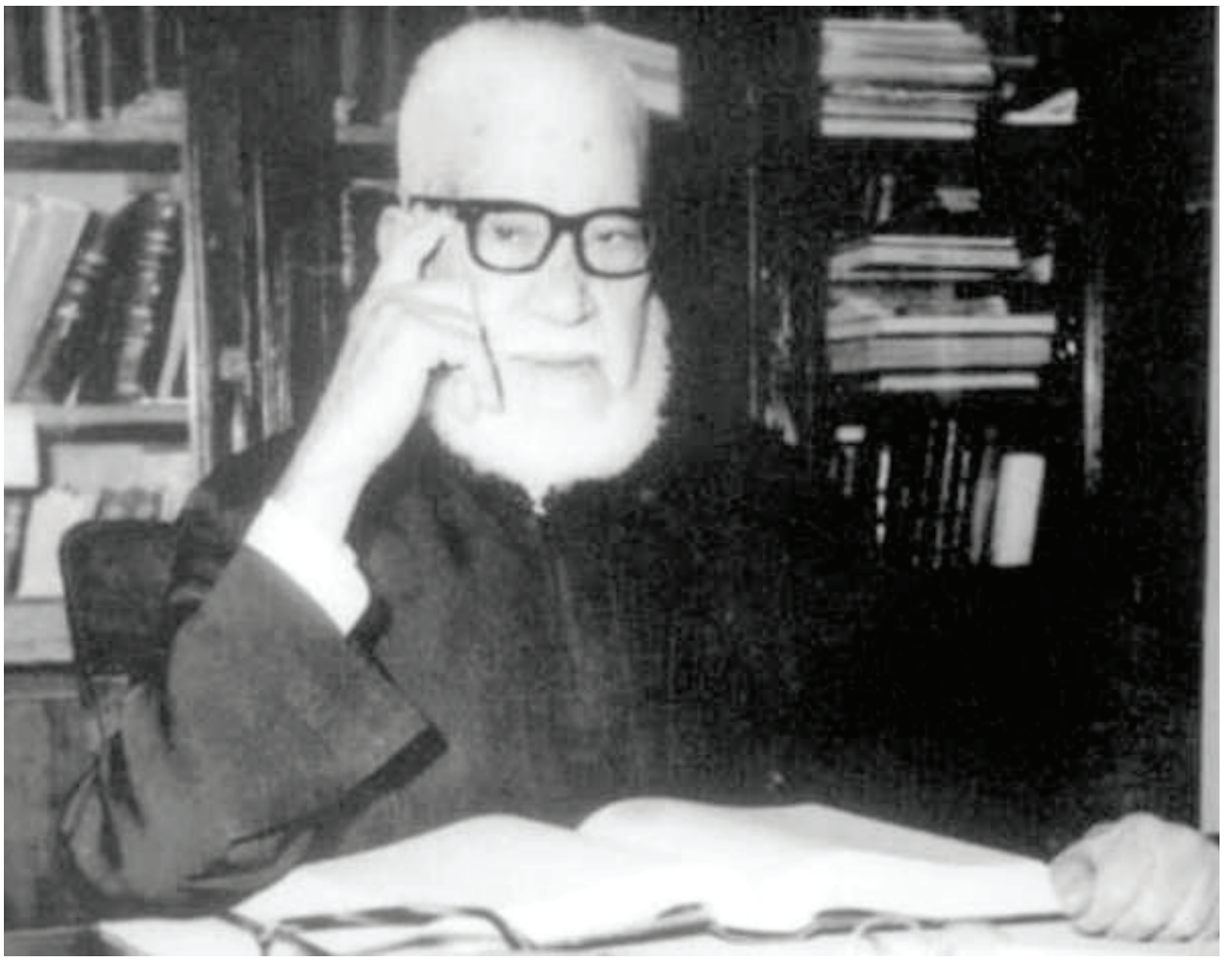

تهل علينا هذه الأيام الذكرى الستون لرحيل القمص سرجيوس. وأخشى ما أخشاه ألا يعرف شباب اليوم من هو سرجيوس، بل دعونى أعبر عن تخوفى أن تكون هذه الذكرى قد سقطت من العقل الجمعى المصرى، لذلك دعونى أطرح عليكم السؤال: من هو القمص سرجيوس؟ ربما ألتمس العذر للقارئ إذا لم يعرف سريعًا من هو سرجيوس؟ لقد طرحت هذا السؤال فى أثناء محاضراتى فى الجامعة على طلاب مرحلة الليسانس فى الدراسات التاريخية، وأيضًا على طلاب الفرقة الثانية فى كلية الإعلام، ولم أجد إجابة. والأكثر من ذلك أننى طرحت السؤال أثناء ندواتى فى الكنيسة القبطية على شباب الخدمة الكنسية ومجموعة المشاركة الوطنية، ولم تكن الإجابة بقدر ما انتظرت. وأحسست أن هناك شبه تعتيم مقصود أو غير مقصود على هذه الشخصية «رمز الوحدة الوطنية»، وما أحوجنا الآن لهذه الوحدة وهذه الشخصية.

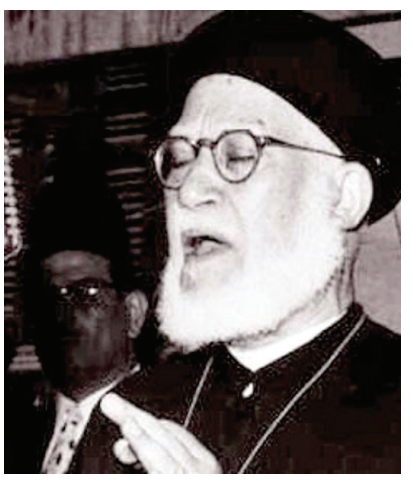

بالنسبة لى تعرفت على شخصية سرجيوس لأول مرة من خلال فيلم «بين القصرين»، حيث يعرض المخرج فى نهاية الفيلم بعض المشاهد عن ثورة ١٩١٩، ومن هذه المشاهد يسترعى الانتباه هذا القس الذى يعتلى منبر المسجد خطيبًا للوطنية، ورمزًا للوحدة الوطنية فى لحظة نادرة ومضيئة فى سجل أيامنا المصرية. فمن هو سرجيوس؟

إن من يتتبع نشأة سرجيوس وسنوات تكوينه سيُواجه ببعض الحقائق والصعوبات التى كثيرًا ما تحد من رغبة الباحث النازعة إلى التحليل، أكثر من مجرد سرد الوقائع، فنادرًا ما تتوافر لدى المؤرخ معلومات مهمة ووافية حول الفترة الأولى للشخصية التاريخية، فى حين تتراكم المعلومات بدءًا من الفترة التى يلمع فيها نجمه ويتحول إلى «شخصية تاريخية» ولا يهتم أحد بتسجيل الفترة السابقة.

وعلى ذلك فليست لدينا معلومات مهمة عن نشأة سرجيوس، واسمه الأصلى هو «ملطى سرجيوس عبدالملاك»، سوى أنه وُلد فى جرجا فى الصعيد فى عام ١٨٨٣. أما عن الأصول الاجتماعية له فهو ينتمى إلى أسرة توارثت سلك الكهنوت، فكان أبوه قسيسًا وكذلك جده. من هنا كان طبيعيًا- كما يروى سرجيوس نفسه- أن يكون كاهنًا، وأن يتمرس على الخطابة والوعظ. ولا يتوافر لدينا أى معلومات عن سرجيوس من عام ١٨٨٣ حتى عام ١٨٩٩ عندما يحدث التحول الكبير فى حياته برحيله إلى القاهرة للالتحاق بالمدرسة الإكليريكية.

هكذا تبدو نشأة سرجيوس عادية لا تختلف عن كثير من أقرانه آنذاك، غير أننا لا بُد أن نرى جيدًا هذه النشأة فى إطار ظروف العصر؛ فأولًا كما نرى وُلد سرجيوس عقب الاحتلال البريطانى لمصر فى عام ١٨٨٢، من هنا شارك معاناة هذا الجيل الذى عاش تحت وطأة الاحتلال، ثم شاهد بدايات الحركة الوطنية ضد الاحتلال، وقمعها قبل الحرب العالمية الأولى. كما أحس هذا الجيل جيدًا بمعاناة مصر أثناء هذه الحرب، وبالتالى لم يكن غريبًا أن يقود هذا الجيل ثورة ١٩١٩ حين كان سعد زغلول منفيًا خارج البلاد. ففى عام ١٩١٩ كان سرجيوس يبلغ من العمر ستة وثلاثين عامًا، إنها ذروة الشباب والتوهج الوطنى، وهى تقريبًا نفس المرحلة العمرية للجيل الثانى من «الوفد» الذى قاد التحرك الشعبى والعمل السرى للثورة.

وعلى المستوى القبطى، كانت الحياة القبطية تدخل منعطفًا جديدًا، نتيجة جهود البابا كيرلس الرابع «أبوالإصلاح»، فضلًا عن تحديات التبشير الكاثوليكى والبروتستانتى، ولقد تأثر القمص سرجيوس بهذه الأجواء، فقبل ذلك كانت ثقافة الكاهن القبطى متواضعة للغاية، وكان من يتولى الوعظ هم بعض الكهنة الذين يجمعون بين الوعظ وأعمال حرفية وزراعية أخرى، ليتقوّتوا منها. ولم يكن هذا الوضع يتناسب مع الثقافة الراقية وفن الوعظ الذى يتمتع به المبشرون الأجانب، من هنا كان إنشاء المدرسة القبطية الإكليريكية يعد تطورًا كبيرًا فى الحياة القبطية.

وإذا انتقلنا من دراسة المناخ العام إلى دراسة طبيعة شخصية سرجيوس الخاصة، وأثرها فى تطور حياته، فإننا سنجد تميزًا خاصًا لسرجيوس فى هذا الاتجاه، فقد وصفه البعض على سبيل المدح بأنه «نادر، ثائر، شاذ، لا يسير كما يسير الناس، شَبَّهُهُ بالبركان إن شئت، لكنه بركان متفجر، أو شَبَّهُهُ بالمحيط إن شئت، لكنه ليس بالمحيط الهادئ.. إنما هو شعلة متقدة من النور، وجذوة لا تخمد من النار».

والحق أن روح التمرد قد ظهرت مبكرًا لدى سرجيوس، وهو معلم بالمدرسة الإكليريكية، فقد قاد سرجيوس فى عام ١٩٠٢ تمردًا لطلاب الإكليريكية من أجل إصلاح شئونها، وأحوال الطلاب بها، وبطبيعة الحال فإن أى تمرد يواجه بحدة وقمع، فما بالنا إذا كان التمرد داخل مؤسسة دينية؟! من هنا قامت البطريركية بمحاولة قمع هذا التمرد بالتهديد باستدعاء البوليس لإنهاء اعتصام الطلاب بالإكليريكية، فلجأ الطلاب إلى أهم شخصية قبطية علمانية آنذاك «بطرس باشا غالى» الذى تدخل لإنهاء هذا الخلاف.

بعد تخرج سرجيوس من المدرسة الإكليريكية، تزوج فى عام ١٩٠٤ لكى تتم رسامته قسًا. وقام سرجيوس بالخدمة فى كل من الزقازيق، سنورس، وملوى إلى أن تمت ترقيته إلى درجة «القمص» فى عام ١٩٠٧، وفى عام ١٩١٢ انتقل سرجيوس للعمل بالسودان وكيلًا للمطرانية القبطية هناك.

> ينتمى إلى أسرة توارثت سلك الكهنوت، فكان أبوه قسيسًا وكذلك جده. من هنا كان طبيعيًا أن يكون كاهنًا وأن يتمرس على الخطابة والوعظ

د. محمود خليل

عهد المدينة.. وإهانة «بنى قينقاع» ..

الخطوة الأولى التى اتخذها النبى «صلى الله عليه وسلم» بعد الهجرة إلى المدينة كانت من الذكاء بمكان، فقد سعى مباشرة إلى توحيد صف الأوس والخزرج، ونزع فتيل العداوات التى كان يشعلها اليهود بينهم باستمرار، حتى ينشغلوا عنهم بحرب بعضهم البعض، ثم آخى بعدها بين المهاجرين والأنصار، وصار الجميع لُحمة واحدة وجماعة مؤمنة، تعمل كالبنيان المرصوص الذى يشد بعضه بعضًا. هذه الخطوة كانت ضرورية للغاية لمواجهة الاستحقاقات القادمة، والتى كان النبى «صلى الله عليه وسلم» والأنصار يعلمانها جيدًا، سواء على مستوى مواجهة عرب مكة، أو مواجهة اليهود المتربصين بالوافد الجديد، الذى تمكن من جمع الكيان البشرى «اليثربى»، الذى اجتهد اليهود عقودًا طويلة فى تشتيته.

وثّق النبى «صلى الله عليه وسلم» عهد الإخاء بين المهاجرين والأنصار فى «كتاب» يتعهدون فيه: «أن يعقلوا معاقلهم وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين»، وجاء فى الكتاب أيضًا: «ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعهم، ولو كان ولد أحدهم». اشتمل الكتاب على تعاليم وبنود عديدة أسست لما يصفه البعض بـ«دستور المدينة»، الذى يحدد أسس العلاقة بين المؤمنين، والكيفية التى ينظمون بها علاقاتهم مع الآخرين. واشتمل الدستور أيضًا على مجموعة من النقاط التى تحدد علاقة المسلمين باليهود، من بينها حرية الأديان: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم» وأن «بطانة يهود كأنفسهم»، و«أنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد»، وأن «على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه «ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله».

لم يترك النبى شيئًا للظروف، لقد كان «صلى الله عليه وسلم» يؤسس لمجتمع جديد، ومجموعة بشرية ستقوم بمهمة تغير وجه التاريخ لذا لم يترك شيئًا للاجتهاد الظرفى، لتلافى الاحتمالات السيئة، وبل وضع معايير واضحة تحكم العلاقة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار، وبينهم وبين يهود يثرب، وكذا الكيفية التى تدار بها العلاقات مع الخارج من جانب الطرفين، وقد ظهر أثر هذه الترتيبات بعد عام واحد من الهجرة إلى المدينة، وتحديدًا فى ١٧ رمضان من سنة ٢ هجرية، حين تواجه المؤمنون مع عرب مكة فى موقعة بدر، وتمكنوا من هزيمتهم هزيمة ساحقة، وقتلوا صناديد قريش، مثل أمية بن خلف وعمرو بن هشام وغيرهما، وليس هناك خلاف أن هذا الانتصار السريع والحاسم أرعب يهود المدينة، فبدأوا -كما اعتادوا- فى التخطيط بليل لمواجهة المسلمين، قبل أن يستفحل خطرهم أكثر من ذلك، فكان ما كان مع يهود «بنى قينقاع». لم يكن قد مضى على انتصار المسلمين على عرب مكة فى «بدر» أكثر من شهر، حين تحرك ضدهم يهود بنى قينقاع، منتصف شوال من سنة ٢ هجرية. تحرك بدا مبررًا فى ظل النصر السريع والحاسم الذى حققه المسلمون على صناديد قريش، فقد بدأ القلق يعصف باليهود؛ لأنهم توقعوا تحركًا تاليًا من جانب النبى «صلى الله عليه وسلم» ضدهم، وربما داخلهم أيضًا شعور بأن المسلمين منهكون بعد معركة بدر، وأن التحرك ضدهم فى هذه اللحظة هو الأوجب، وقد يؤدى إلى استئصال شأفتهم من المدينة.

انفجر الموقف بين المسلمين واليهود فى المدينة بحادثة شهدتها «سوق بنى قينقاع»، حين ذهبت إليه سيدة مسلمة لتبيع الحليب هناك، وبعد أن فرغت من مهمتها عرجت على صائغ يهودى بالسوق تشترى منه، فأخذ اليهود يداعبونها ويطلبون منها كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودى فقتله، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود؛ فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع، وفى تقديرى أن هذه الواقعة لا تنهض وحدها كسبب لاندلاع الحرب بين المسلمين واليهود، لكن يمكن القول إنها مثلت القشة التى قصمت ظهر البعير، فقد بدأ غدر اليهود فى الظهور مباشرة بعد انتصار بدر، وحذرهم النبى من أى تحرك غير محسوب، وضرب لهم مثلًا بقريش وما حل بها، فما كان منهم إلا أن ردوا عليه بمنتهى الغرور: «يا محمد إنك ترى أنا قومك، لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس».

عند هذا الحد كان التحرك ضرورة، وهو ما قرره النبى «صلى الله عليه وسلم»، فجمع المسلمين وانطلق إلى حى بنى قينقاع وضرب حصارًا عليهم، حتى استسلموا ونزلوا على حكمه. يقول بعض المؤرخين أن عدد المقاتلين اليهود فى معركة بنى قينقاع بلغ ٧٠٠ مقاتل، وهو عدد كبير إذا قيس بعدد المقاتلين من المسلمين العائدين توًا من بدر، ولعلك تذكر أن عدد المسلمين المقاتلين فى هذه المعركة لم يزد على ٣١٣ مقاتلًا. خلال هذه الأحداث ظهرت شخصية عبدالله بن أبى بن سلول، زعيم المنافقين فى المدينة المنورة على المسرح، إذ ظهر له دور مهم فى الدفاع عن يهود بنى قينقاع، وقد أخذ يطارد النبى بعد أن استسلم له الحى، يطلب منه الإحسان إلى مواليه، وألا يستأصل شأفتهم، وقد أغضب هذا الفعل الرسول «صلى الله عليه وسلم» والصحابة، وكانت هذه الواقعة كاشفة بصورة كبيرة عن التركيبة النفسية لهذا الزعيم الخزرجى الكبير وموقفه الحقيقى من النبى والإسلام، وأظهرت أن «ابن سلول» أسلم بلسانه ولم يؤمن قلبه، وأنه منافق، بل زعيم للمنافقين الذين شكلوا فيما بينهم طابورًا خامسًا كان يعمل لحساب أعداء المسلمين، وعلى رأسهم اليهود.

لم يترك النبى شيئًا للظروف لقد كان «صلى الله عليه وسلم» يؤسس لمجتمع جديد، ومجموعة بشرية ستقوم بمهمة تغير وجه التاريخ لذا لم يترك شيئًا للاجتهاد الظرفى

د. منى حلمى

النزول إلى البحر دون أن نبتل

عندى قناعة راسخة بأن جميع شعوب الأرض يمكنها أن تعيش برفاهية وسلام واطمئنان وصحة جيدة. أنا على يقين أن موارد العالم تكفى وتفيض لكى ينتهى الفقر والمجاعات والظروف البيئية المخزية، التى ما زالت تهدد غالبية شعوب الأرض.
هذا ليس كلامًا رومانسيًا، أو حلمًا من أحلام اليوتوبيا. لكنه أمر قابل للتطبيق والتحقق، لو تغيرت المفاهيم والسياسات التى تحكم العالم.
هناك المليارات المهدرة كل يوم، فى أمور ترسخ الطبقية والكراهية بين البشر.
إنفاق خيالى على الأسلحة، وتدعيم الكهنوت الدينى والثقافى، وتمويل المنظمات الإرهابية، ووسائل ترفيه ومتعة، تصيب الناس بالبلاهة والغيبوبة الحضارية.

كم أشعر بالعار من العالم، عندما أدرك أن «الفقر» ما زال يعربد فى مناطق كثيرة، بل ازداد فى بعض المجتمعات البائسة. بينما البذخ ينفق على كماليات وإنتاج الأسلحة لإعلاء قيمة سفك الدماء، وعلى تكثيف بناء دور العبادة، على مستحضرات التجميل، وعلى المنشطات الجنسية، والدجل والشعوذة وطرد الجن والعفاريت، والحفلات والأفراح والجواهر والأزياء، التى تبعثر الفلوس بشكل يثير الشفقة، لا يدل إلا على التعاسة، وفقدان التوازن، وهشاشة وتفاهة النظر إلى الحياة.

جرائم البشر فى السِلم أكثر بشاعة من جرائمهم فى الحروب المعلنة والخفية. ماذا نسمى قتل الفتيات والنساء، على أيدى ذكور الأسرة، لفقدهن غشاء البكارة، رمز الشرف فى الأسرة الأبوية ؟

أشعر بالأسى لأن هناك على كوكب الأرض بلادًا لا تجعل يومًا يمر دون أن تحسن نوعية الحياة لشعوبها، من تعليم وصحة وثقافة وفن وحريات عامة وحريات شخصية وقوانين ملزمة للجميع، دون أى أساس عنصرى. بينما نحن فى بلادنا العربية الإسلامية، ما زلنا نكافح من أجل «بديهيات»، عطلت مسيرتنا الحضارية الإنسانية، وجعلت الغالبية ونحن فى الربع الأول من القرن الواحد والعشرين، ما زالت تفكر بأسلوب العصور الوسطى.

وعندما أتأمل هذه الفجوة الشاسعة بيننا وبين البلاد الأخرى، أجد أن أحد الأسباب الرئيسية هى «تمجيد ثقافة الماضى» بكل عاداته وأعرافه وتقاليده، التى أغلبها ثقافة موت وليست ثقافة حياة، ثقافة تغييب وليست ثقافة وعى، ثقافة استعراض الشكليات وليست ثقافة الزهو بالجوهر، بدلًا من إزالة التراب المتراكم تحت السجاجيد والتعرض للشمس والهواء النقى، نبقى الأشياء على ما هى عليه، ونستنشق هواءً مستهلكًا منذ قرون.

نحن لا يهمنا منفعة الناس ومصلحتهم وسعادتهم ورقيهم بقدر ما يهمنا الحفاظ على ما ورثناه من عادات وتقاليد وأعراف منذ مئات السنوات.

بلادنا أسيرة العادات والتقاليد والأعراف، ولا تريد التحرر والانعتاق.

والأكثر خطورة، القول بأن هذه العادات والتقاليد والأعراف هى «مقدسات»، لا يمكن المساس بها. وتغييرها أو التفريط فيها خيانة للوطن وإفساد للمجتمع وابتعاد عن الله وكفر بتعاليم الدين وتشبه بالغرب الكافر المنحل ومسح للهوية نعتبرها «هوية الوطن» و«خصوصية المجتمع».

اتهامات معلبة جاهزة موروثة، مثل العادات والتقاليد والأعراف، لا دليل حى أو ميت على صحتها، وعقلانيتها.

بل على العكس، فالأدلة المادية الملموسة تثبت أننا ما زلنا فى دوامة استهلاك عادات وتقاليد وأعراف الموتى. وما نشهده بشكل متكرر من ردة ثقافية ونكسة حضارية وتأخر فكرى وتعصبات دينية طائفية ومذهبية وتضخمات ذكورية هى النتاج المباشر للجمود وعدم التفاعل الصحى السوى مع متغيرات الحياة والتشبث بالروح والدم بأزمنة، انتهت صلاحيتها.

بعض الناس يتكلمون ليل نهار عن « تغيير العالم»، وهم عاجزون عن تغيير ملاءات الأسرة التى ينامون عليها. وهناك البعض الذين ينتظرون اللحظة المناسبة للتغيير، ولا يدركون أن القضية أن نصنع نحن اللحظة المناسبة. فالتغيير لا ينزل من السماء ولا يحدث بالمصادفة، وهو ليس منحة من أحد. التغيير «إرادة واختيار». وهناك البعض، وأعتقد أنهم الغالبية، يرحب بالتغيير. لكنه يشترط أن التغيير لا يجب أن يمس العادات والتقاليد والأعراف الموروثة.

أنا لا أفهم، كيف نتغير دون المساس بالعادات والتقاليد والأعراف؟

ماذا سنغير إذن، إذا كنا سنبقى على العادات والتقاليد والأعراف، التى وُلدنا ووجدناها تتحكم فى حاضرنا ومستقبلنا؟ العادات والتقاليد والأعراف هى التى «تشكل» الحياة بكل تفاصيلها وفى جميع مجالاتها، وهى التى تعكس أفكارنا ومعتقداتنا وعواطفنا وأخلاقنا وتحيزاتنا الوجدانية. وهى التى تنتج بالتالى الأحكام والإدانات والعنصريات والتعصبات والتحالفات السامة التى تعطل تقدمنا الحضارى. إن الرقى الحضارى، أو النهضة الفكرية والثقافية، التى تحررنا من هذه التحالفات، هو بالتحديد الخروج من سجن العادات والتقاليد والأعراف، التى ورثناها من الموتى، التى نمنحها «القدسية»، و«الثبات» ونعطيها حق اعتقال هويتنا فى قوالب حديدية، تتستر وراء الفضيلة والتدين.

العادات والتقاليد والأعراف الموروثة ليست مقدسة وليست ثابتة. والدليل على ذلك أن البشر على مر العصور، قد قاموا فعلًا بتغيير عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم. هناك الذين يتاجرون بالأديان والوطنية والشرف، وهناك منْ يتاجر بالعادات والتقاليد والأعراف، فهى بضاعة مربحة تريح الكثيرين العاجزين المحبطين.

إن «الخوف» أشرس أعداء البشر وأخبثهم. والاستسلام له معناه الشلل الكامل. فلا حياة مع الخوف. الخوف من التغيير إذن، تحت أى مسمى، أمر طبيعى ومفهوم. فالتغيير ينطوى على «مخاطر» مجهولة. لكننا لا يجب أن نخاف التغيير. فالتغيير هو الحياة ومهما كانت مخاطره فهو أفضل من الجمود. نخاف العواصف رغم أنها تسقط الأوراق الميتة عن الشجر. وفى رحلة الصعود، يكون السقوط واردًا. لكنه ليس نهاية المطاف. فالرحلة بدأت. والبداية دائمًا هى الجزء الأصعب.

نرفض تحكم الأحياء فى مصير الأحياء، كيف إذن نقبل تحكم الموتى فى مصير الأحياء؟. كيف لمنْ يرقد تحت التراب، أن يكسر أجنحة منْ يريد التحليق؟

لقد علمتنا الفلسفة، أنه لا شىء «ثابت» إلا «التغير» المستمر وإن لم نشعر به. قال الفيلسوف اليونانى هيرقليطس إن التغيير هو الجوهر الأساسى فى الكون، وعبّر عن ذلك قائلًا: «أنت لا تنزل فى النهر الواحد مرتين.. فى المرة الثانية أنت لست أنت، والنهر ليس هو النهر».

إن أكثر الناس حبًا لأوطانهم هم الذين يغيرون.. هم الرواد والرائدات. التغيير، دون المساس بالعادات والتقاليد والأعراف الموروثة، أشبه بمنْ يريد النزول إلى البحر دون أن يبتل، أو بمنْ يريد صحة جسده، مع الإبقاء على بيئته المتلئة بالأمراض.

أشعر بالأسى لأن هناك بلادًا لا تجعل يومًا يمر دون أن تحسن نوعية الحياة لشعوبها

من بستان قصائدى

منذ زمن راحت أيامه ولياليه
وأنا مختبئة بين أوتار «العود»
أعزف لحنًا على تنويعات الشجن

أحيانًا أحن إلى أوتار «الكمان»
تبيع آلامى تشترينى بلا ثمن
يا منْ بروحى أتوق إليه

تأخرت كثيرًا والسأم يخنقنى
أحزم حقائبك وذكريات البكاء
نم فوق أسرع سحابة

واهمس لى كلامًا كالغِناء :
باشتياق المطر لأرضكِ أعود
أيتها الحبيبة عسلية العيون

المرأة التى أتعبتنى وأفرحتنى
المسافرة على امتداد قامتى
المختبئة بين أوتار «العود»

د. وجدى زين الدين

لويس عوض.. مسيرة تنوير واسعة

غدًا تحل ذكرى وفاة العالم الجليل والمجدد التنويرى الدكتور لويس عوض، الذى ولد فى 5 يناير 1915 وتوفاه الله فى 9 سبتمبر 1990.

كان الدكتور لويس عوض لتعدد الآراء حوله يبدو كأنه ناقد أديب غامض، فقد تم احتسابه على الشيوعية ثم مُعاديًا لثورة 23 يوليو 1952، ثم فى معطف الثورة ذاتها، ثم خارج المجتمع داخل برجه العاجى، ثم انغماسه داخل المجتمع. كل هذه الانطباعات حول رؤيته السبب الرئيسى فيها هو تنوع أعماله الكبيرة.

الدكتور لويس عوض كان من رواد مدرسة النقد التفسيرى، والاتجاه التفسيرى فى نقد لويس عوض للأعمال الأدبية الجديدة امتداد لتخصصه كأستاذ للأدب. وكانت الاتجاهات النقدية فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين تتأثر باتجاهات النقد الغربى، وتسعى نحو النظر فى الأدب العربى شعرًا ونثرًا بمنظار تلك الاتجاهات.

وقد قال لويس عوض نفسه: إن أكبر تطور حدث فى تاريخ النقد الأدبى وضع الأسس فى النصف الثانى من القرن العشرين، وفى هذه الحقبة الثورية ظهرت أربعة اتجاهات أساسية، فإلى جانب الاتجاه البلاغى الذى احتفظ باستمراره، ظهرت مدرسة محمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس وتبنت دعوة الأدب للمجتمع وللتغيير الاجتماعى، وهناك المدرسة التاريخية التى تبنيتها-أى لويس عوض نفسه- وهناك مدرسة الفن للفن التى كان يمثلها الدكتور رشاد رشدى الذى جمع حوله مجموعة من النقاد الشبان.

والحقيقة أن لويس عوض أفاد من هذه الاتجاهات ومن غيرها، وأراد أن ينتفع منها كلها من أجل زيادة الفهم واتساع المعرفة، وسبر أغوار النصوص، فلم يتعصب لاتجاه ولم يجعل من نفسه داعية، إنما كان ناقدًا عقلانيًا مستنيرًا.

> لم يتوقف لويس فى النقد عند الشعر فقط بل امتد ليشمل الرواية والمسرح ويتجلى ذلك فى كتابه «الحرية ونقد الحرية»

ولعنصر التنوير مكان ظاهر فى تكوينه الثقافى، خاصة أن التنوير يعلى من شأن العقل ولا يجعل فوقه سلطانًا، فهو المرجع الذى يحتكم إليه فى كل شئون الحياة. ولقد تمثلت آثار لويس عوض خصيصة التنوير، فمنذ أولى مقالاته وهو يسعى إلى نشر حكم العقل وإلى تبديد الظلام ومحاربة الخرافة والجهل. والأدب لديه نشاط هادف إلى خير الإنسان وساعٍ إلى بناء حياته على نحو متسم بالكمال.

ولقد بقيت هذه الحقيقة على مدار حياته الأدبية، وقد أكدها فى مقابلة فى أواخر المقابلات معه إذ قال: إضاءة الشموع كلها هو أسلوبى فى الرد على الظلام.

ولذلك كان التنوير والتفسير مَعلمين واضحين فى مسيرة لويس عوض الأدبية والفكرية والثقافية، بل هو فى كل ما كتب فيما يتصل بالنصوص الأدبية مفسر يسعى إلى التنوير والتثقيف، وقد كان نقده للشعر متوازنًا وعقلانيًا.. ويقول فى مقابلة معه: «إن ما ينشر فى الصحافة اليومية بالغ الرداءة»، ومعلقًا على الشعر: «ولا تكمن عيوبه بأنه شعر عمودى، ولكنه ليس شعرًا إنه نظم عاجز عن أن يكون شعرًا»، وأيضًا: «الصفحة الأدبية فى جريدة يومية، كما نفترض، مرآة الحركة الشعرية، وأقرأ أحيانًا فى مجلة (إبداع) تجارب غامضة وأخرى كسيحة، والقليل النادر من الشعر، لا أعرف ماذا حدث، وماذا يحدث، إننى من أنصار التجديد، بل من المحرضين عليه، ولكننى أرى نفسى محاصرًا بالزيف العمودى من جانب والتفعيلة المزيفة من جانب آخر».

فما بالنا الآن ونحن نقرأ أعمالًا لا تستحق أصلًا تسويدها على الورق.

ولم يتوقف لويس عوض فى النقد عند الشعر فقط، بل امتد ليشمل الرواية والمسرح، ويتجلى ذلك فى كتابه «الحرية ونقد الحرية»، وهو عبارة عن مجموعة مقالات نشرت فى الصحافة الأدبية أولًا ثم فى كتاب، شأن أكثر مؤلفات لويس عوض الأخرى. ولقد تناولت هذه المقالات الرواية والمسرحية والشعر إلى جوار شئون ثقافية أخرى. ويشتمل الكتاب على نقده رواية «عودة الروح» لتوفيق الحكيم، ومسرحية «براكسا» للحكيم أيضًا، ومسرحية صلاح عبدالصبور الشعرية «مسافر ليل»، و«الغسق» شعر حسين عفيف. يرحم الله المفكر الكبير لويس عوض فى ذكرى وفاته، الذى ترك للمكتبة الفكرية والأدبية الكثير من الأعمال التى تستحق أن تتعرف عليها الأجيال الجديدة، خاصة كتاب الحرية ونقد الحرية.

د. أحمد الخميسى

المكتبةالمتنقلة

يقول «ميفلين» بطل رواية «المكتبة المتنقلة»: «لا يحق لمخلوق على وجه الأرض أن يعتقد أنه إنسان إذا لم يكن قد قرأ كتابًا واحدًا جيدًا على الأقل»، وقد بلغ إيمان «ميفلين» بالكتاب حد أنه اشترى عربة يجرها حصان وضع فيها قدر ما اتسعت له من الكتب وراح يجوب القرى مع كلبه الصغير يروج للارتقاء بالشعور والفكر.

يقول العجوز «ميفلين» فى موضع آخر: «نحن عندما نبيع كتابًا لرجل فنحن نبيعه حياة جديدة بأكملها، الحب، والصداقة، والفكاهة، والسفن فى عرض البحر ليلًا، والسماء والأرض بأكملهما موجودان داخل الكتاب».

هذه الرواية الجميلة تأليف الكاتب الأمريكى كريستوفر مورلى، الذى توفى عام ١٩٥٨، وقد صدرت هذا العام بالعربية فى ترجمة جيدة قامت بها إيناس التركى. الكتاب إذن هو موضوع رواية «المكتبة المتنقلة» الذى عالجه الروائى بذكاء وعمق ولطف وفكاهة.

رحت أستعيد تاريخ المكتبات فى حياتى، وما زلت أذكر مكتبة صالة شقتنا بالعباسية عام ١٩٥٣، وكنت فى نحو السادسة لا أجيد حتى فك الحروف، لكنها ارتبطت عندى بمشهد محدد، حين اقتحمت قوة من الشرطة الشقة، ووقف الضابط أمام المكتبة يقلب الكتب، ثم أمسك بين يديه كتابًا من تأليف والدى اسمه «صيحات الشعب»، فصحت فيه محتجًا: «هذا كتاب بابا»! وكنت أقصد أنه ملك والدى.

ومع اعتقال والدى انتقلنا للحياة مع جدى لأمى، وهناك برزت المكتبة مرة أخرى، هذه المرة كانت عبارة عن رفين من الخشب عليهما عدد قليل من الكتب أغلبها لعباس العقاد، نفرتنى عناوينها الجادة التى لا تناسب طفلًا أو صبيًا.

ثم انتقلنا إلى شقة مستقلة فى شارع مصر والسودان بعد خروج والدى من المعتقل، وهناك بدأت القراءة من المكتبة التى نهضت فى الصالة مجددًا، وكانت تحتوى على عدد كبير من الروايات الروسية المترجمة، فرحت ألتهمها واحدة بعد الأخرى، وحين انتهيت منها اكتشفت مكتبة أخرى على رصيف فيلا مهجورة بجوارنا صاحبها عم حجازى فكنت أخرج من المدرسة يوميًا وأتجه إلى عم حجازى، أعطيه نصف القرش، وأجلس على الرصيف بجانبه أطالع كل ما يسعنى حتى تحل العتمة فأنصرف.

ومن هذه المكتبة الثابتة قرأت رواية «ذات الرداء الأبيض» لويلكى كولنز، وأغلب ما نشرته سلسلة «كتابى» لحلمى مراد وغير ذلك، وظل فى قلبى كل ما قرأته حينذاك كالحب مبكرًا، ثم انتقلنا أخيرًا إلى شارع نوبار، وعندها انفتحت أمامى مكتبة مدرسة المبتديان الثانوية فكنت أستعير منها ما أشاء، لكن أمى كانت تلزمنى بالنوم مبكرًا، فأخذت أشترى شموعًا لأقرأ عليها ليلًا فى الحمام لكى أتفادى أن تفضحنى اللمبة إذا تسرب ضوؤها من فتحة الباب.

وفى تلك السنوات غمرنى مكسيم جوركى بحماسته للفقراء، فرحت أسوّد أبواب الحجرات راسمًا عليها عبارته: «جئت إلى هذا العالم لكى أختلف معه» حتى صرخت أمى فىّ: «خلاص عرفنا إنك جئت تختلف، اترك بقى الأبواب فى حالها حرام عليك».

وقد وهبتنى المكتبات الثابتة حياة كاملة مختلفة، عامرة بالأفراح والتأمل والتعاطف مع الآخرين، وظلت بعض الكتب شابة فى قلبى حتى الآن، تتحرك وتتكلم لم ينل منها الزمن، مثل أعمال أنطون تشيخوف ويوسف إدريس، وشاخت كتب أخرى لكن بعد أن قامت بدورها، والمؤكد أن نصف حياتى كان من الورق، وإن لم يسعدنى الحظ بلقاء شخص مثل «ميفلين» بعربته ومكتبته المتنقلة وكلبه الصغير وشغفه بالخيال والبشر.

وهبتنى المكتبات الثابتة حياة كاملة مختلفة عامرة بالأفراح والتأمل والتعاطف مع الآخرين

ماجد حبته

العائد من الصين وإفريقيا

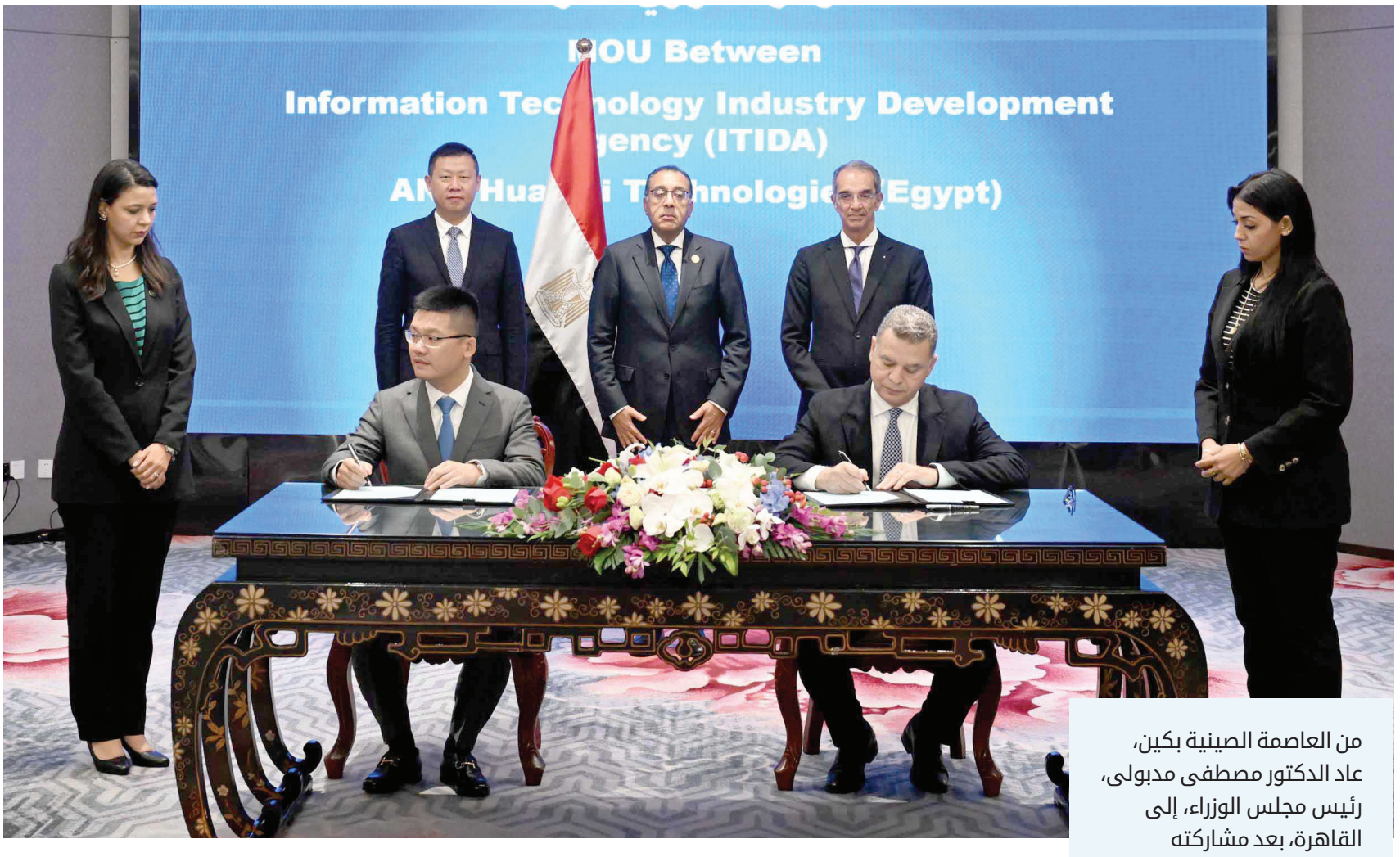

من العاصمة الصينية بكين، عاد الدكتور مصطفى مدبولى، رئيس مجلس الوزراء، إلى القاهرة، بعد مشاركته نيابة عن الرئيس عبدالفتاح السيسى فى فعاليات النسخة التاسعة من «منتدى التعاون الصينى الإفريقى»، التى بدأت الأربعاء الماضى، وانتهت أمس الأول الجمعة. ولن نختلف لو أردت أن يكون معنى «العائد»، فى العنوان، هو المردود، أو المكسب، أو المنفعة، من مشاركتنا فى المنتدى.

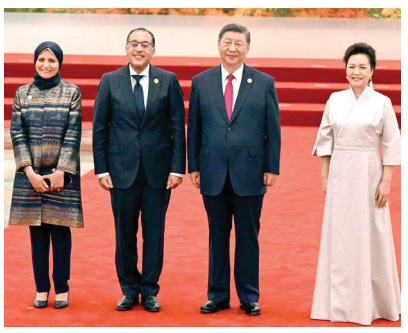

مع الجلسة الافتتاحية للمنتدى، حضر رئيس الوزراء مأدبة عشاء، أقامها الرئيس الصينى شى جين بينج، وقرينته، للحضور رفيعى المستوى من رؤساء الدول والحكومات وقرينة كل منهم. كما شارك فى عدد من الجلسات، التى ناقشت سبل تعزيز التعاون بين الصين والقارة السمراء، وألقى كلمة مهمة، وطويلة، فى جلسة عنوانها «التحول الصناعى وتحديث الزراعة والتنمية الخضراء». وعلى الهامش، التقى رؤساء شركات صينية بارزة، يعمل عدد كبير منها فى المنطقة الاقتصادية لقناة السويس، وناقش معهم موقف تنفيذ المشروعات القائمة، وخطط التوسع فى السوق المصرية خلال المرحلة المقبلة.

تأسس «منتدى التعاون الصينى الإفريقى» بمبادرة مشتركة فى أكتوبر ٢٠٠٠، بهدف تعميق التعاون لتحقيق التنمية الاقتصادية ومواجهة تحديات العولمة. وواصل التنين الصينى صعوده السريع، وسعى جاهدًا إلى تعزيز علاقاته بدول المنطقة العربية والقارة السمراء، مستفيدًا من التطورات «الدراماتيكية» التى شهدتها الساحتان الإقليمية والدولية، ومستغلًا فشل الولايات المتحدة فى إدارة سياستها الخارجية.

بعد المؤتمر الوزارى الأول، الذى أقيم فى أكتوبر ٢٠٠٠، عقد قادة الدول الأعضاء فى المنتدى قمتهم الأولى سنة ٢٠٠٦ فى بكين، وبعد فاصل طويل نسبيًا استضافت جنوب إفريقيا القمة الثانية سنة ٢٠١٥، غير أن السنوات التسع، الفاصلة بين القمتين، شهدت خمسة اجتماعات وزارية، استضافت مدينة شرم الشيخ الرابع منها فى ٢٠٠٩، والذى انتهى بإقرار إعلان وخطة عمل شرم الشيخ، وبرامج جديدة للتعاون بين الجانبين. و... و... ومع الدور الكبير، الذى لعبته «دولة ٣٠ يونيو» فى إنجاح «منتدى التعاون الصينى الإفريقى»، دعمت، أيضًا، التعاون العربى الصينى، وستكون هى دولة الاستضافة العربية التالية للقمة العربية الصينية، التى استضافت السعودية، فى ديسمبر ٢٠٢٢، نسختها الأولى.

المهم هو أن رئيس الوزراء أكد، الخميس الماضى، فى كلمته المهمة، والطويلة، أن القارة الإفريقية فى حاجة إلى شراكة حقيقية مع الصين، التى نجحت فى تحقيق طفرة صناعية، وأشاد بـ«مبادرة التنمية العالمية» التى أطلقها الرئيس الصينى سنة ٢٠٢١، بهدف قيادة الدول النامية لعمليات التنمية الاقتصادية، وفقًا لأولوياتها الوطنية، مع فتح الباب على مصراعيه للاستفادة من التجربة الصينية فى القضاء على الفقر وتحقيق قفزات عملاقة وسريعة على صعيد التنمية الشاملة والنهضة الاقتصادية، لافتًا إلى أن الدولة المصرية تتفق مع هذا الطرح، وأن «رؤية مصر ٢٠٣٠» للتنمية المستدامة تتكامل مع أولويات هذه المبادرة، وكذا مع «مبادرة الحزام والطريق»، و... و... وانتهت الكلمة بتأكيد عزم مصر على استمرار التعاون والتنسيق المشترك مع الصين والأشقاء فى الدول الإفريقية، من أجل تنفيذ مخرجات هذه النسخة من المنتدى، وتلبية تطلعات الشعوب الإفريقية نحو تحقيق التنمية والازدهار والسلام والاستقرار.

.. وتبقى الإشارة إلى أن رئيس مجلس الوزراء، العائد من بكين، مساء أمس الأول، الجمعة، شهد على هامش مشاركته فى فعاليات النسخة التاسعة من «منتدى التعاون الصينى الإفريقى»، توقيع العقود النهائية لحزمة من المشروعات الجديدة، التى سيتم تنفيذها بالمنطقة الاقتصادية لقناة السويس، فى مجالات الصناعات الكيماوية والغذائية وإنتاج «البروم» وتصنيع مكونات مشروعات الطاقة المتجددة، ومن المتوقع أن تزيد استثمارات هذه المشروعات على مليار دولار. كما شهد التوقيع، أيضًا، على ٥ مذكرات تفاهم لإنشاء ٣ مصانع لكابلات الألياف الضوئية ومعدات الاتصالات، و٣ مراكز لتصدير خدمات التعهيد، بطاقة ٨٠٠ فرصة عمل فى مجالات تصميم الدوائر الإلكترونية وتطوير البرمجيات والبحث والتطوير فى الشبكات الضوئية وتكنولوجيا التحول الأخضر وأشباه الموصلات، إضافة إلى إنشاء صندوق استثمارى تكنولوجى بحجم ٣٠٠ مليون دولار، ومركز بيانات، و٤ مراكز ومعامل، للتدريب وبناء القدرات.

توقيع عقود نهائية ومذكرات تفاهم لحزمة من المشروعات الجديدة

الديوان

الدستور

المحرر العام: محمد الباز

الأحد ٨ سبتمبر ٢٠٢٤ ٥ ربيع الأول ١٤٤٦

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 08

د. صفاء النجار

أشهر 50 خُرافة فى علم النفس «2»

ما زلنا مع كتاب «أشهر 50 خرافة فى علم النفس: هدم الأفكار الخاطئة الشائعة حول سلوك الإنسان». ومن الخرافات التى يفندها الكتاب المقولات الخاصة باختلاف الرجال عن النساء، وهو أحد الموضوعات التى ألهمت الشعراء والأدباء والمؤلفين وكتاب الأغانى كثيرًا، فانتشرت الأغنيات والمواقف الدرامية فى المسرح والأفلام المستوحاة من فكرة اختلاف طرق التواصل بين الرجل والمرأة ووجود سوء فهم دائم بين الجنسين، تقول كلمات أغنية «سوء فهم» لفريق جينسيس» البريطانى:

لا بد أن هناك سوء فهم ما
لا بد أن هناك خطأ ما
انتظرت تحت المطر لساعات
لكنك تأخرت

ليس من عادتى أن أقول الشىء الصحيح
لكن كان بإمكانك الاتصال لإعلامى بالأمر

ويستشهد المروجون لهذه الفكرة بمقولة «سيجموند فرويد»: السؤال الكبير الذى لم يجب عنه أحد قط، والذى لا أزال بعد غير قادر على الإجابة عنه، على الرغم من بحثى ثلاثين عامًا فى خبايا النفس الأنثوية هو: «ما الذى تريده المرأة؟».

إن الاعتقاد بأن الرجال والنساء يتواصلون بأساليب مختلفة تمام الاختلاف، مما يؤدى إلى حالات سوء فهم دائمة، هو اعتقاد راسخ فى الموروث الشعبى يجعل الأعمال الدرامية تقدم الرجال وهم يتحدثون عن الرياضة والطعام والصيد والمضاربة فيما تتحدث النساء عن المشاعر والصداقات والعلاقات والحياة المنزلية. وتصور هذه الأعمال عادة الرجال على أنهم أقل فهمًا فى الأمور العاطفية، أو أقل اهتمامًا بها عن النساء.

ويشير الكتاب إلى أن الكتابات الحالية فى علم النفس الشعبى ترسم صورة تؤكد أن الرجال والنساء ليسوا فقط أناسًا مختلفين، بل نوعان مختلفان تمامًا من الكائنات. كما فى كتاب «أنت لا تفهم الأمر فحسب»، لعالمة اللغويات البريطانية ديبورا تانين، الذى يقرر اختلاف أنماط الرجال والنساء فى التواصل فى النوع لا فى الدرجة. تقول تانين: «تتحدث النساء ويسمعن لغة للتواصل والألفة، ويتحدث الرجال ويسمعون لغة للمكانة والاستقلالية»..

على الرغم من أن هذه المقولة مبنية على ملاحظات شخصية وغير رسمية.

وقد أسهم فى تأكيد هذا الرأى ووضعه فى مقام المسلّمات عالم النفس الشعبى الأمريكى «جون جراى»، وشبه الرجال والنساء مجازًا بمخلوقات من كوكبين مختلفين، من خلال سلسلة كتبه الرائجة شعبيًا «المريخ والزهرة»، وقد بدأها بكتاب «الرجال من المريخ والنساء من الزهرة» (١٩٩٢)، «المريخ والزهرة فى غرفة النوم» (١٩٩٦)، وكتاب «المريخ والزهرة فى موعد» (١٩٩٩)، وكتاب «المريخ والزهرة فى العمل» (٢٠٠١)، وكتاب «أسباب اختلاف المريخ والزهرة» (٢٠٠٨)، وأيد الرأى المتطرف القائل إن لكل من الرجال والنساء أنماطًا مختلفة تمامًا فى التعبير عن احتياجاتهم، وهذه الأنماط من الاختلاف الشديد بحيث تسبب سوء فهم مستمر بين الرجال والنساء. ويزعم «جراى» من بين أشياء أخرى أن لغة النساء تبالغ فى الاهتمام بالألفة والتواصل فيما تركز لغة الرجال على الاستقلالية والتنافس، وعندما تغضب النساء يعبرن عن مشاعرهن، فى حين يلوذ الرجال إلى «كهوف الكتمان» عندما يشعرون بالضيق.

وقد وجدت هذه المقولات رواجًا عالميًا، حيث بيعت ٤٠ مليون نسخة من كتب «المريخ والزهرة» بـ٤٣ لغة. وقد صنفت صحيفة «يو إس إيه توداى» كتاب جراى الصادر عام ١٩٩٢ واحدًا من بين الكتب الخمسة والعشرين الأكثر تأثيرًا فى القرن العشرين. وطبقًا لأحد التقديرات جاءت كتب جراى فى المرتبة الثانية من حيث إقبال الناس على شرائها بعد الكتاب المقدس أثناء فترة التسعينيات من حيث إجمالى المبيعات.

ويؤكد الكتاب أنه رغم انتشار هذه المقولات، إلا أنه لا توجد أبحاث علمية تدعم هذه المقولات التى يصفها الكتاب بالمزاعم، وأن البحوث العلمية التى اهتمت بدراسة الاختلافات بين الجنسين فى طرق التواصل ركزت على أربعة تساؤلات أساسية: «١» هل تتحدث النساء أكثر من الرجال؟

«٢» هل تكشف النساء أشياء عن أنفسهن أكثر مما يفعل الرجال؟

«٣» هل يقاطع الرجال غيرهم أكثر من النساء؟

«٤» هل النساء أكثر ملاحظة للإيماءات غير المنطوقة من الرجال؟

وقد وجدت الأبحاث الدقيقة أن الفروق بين الرجل والمرأة فى هذه السمات فروق ضعيفة جدًا، وأن الاختلاف بين الجنسين فى الثرثرة ومقاطعة الآخرين والكشف عن النفس والقدرة على ملاحظة لغة الجسد هو اختلاف ضئيل للغاية ولا يكاد يكون ملحوظًا فى الحياة اليومية. الحقيقة أن الرجال والنساء يتواصلون بأساليب بينها اختلاف ضئيل، وعدد قليل للغاية من تلك الاختلافات هو ما يكون كبيرًا بقدر كاف يعطيه أهمية ما. مع ذلك، وللأغراض العملية، تزيد درجة التشابه بين الرجال والنساء فى أنماط التواصل التى يتبعونها أكثر من درجة الاختلاف، وليس واضحًا إلى أى مدى تعود الاختلافات بينهم، إلى الاختلافات الفطرية بين الجنسين أم إلى اختلافات النوع فيما يتعلق بتفاوت القوة؟.

ويؤكد كتاب الأمريكى أنه على الرغم من كتب «جون جراى»، فالرجال ليسوا من المريخ والنساء لسن من الزهرة. إنما، قد يكون أكثر دقة أن نقول إن: «الرجال من داكوتا الشمالية، والنساء من داكوتا الجنوبية».

وللتوضيح بالمصرى يمكننا القول: الرجال من إمبابة والنساء من الشرابية.

وللحديث بقية..

> صنفت صحيفة «يو إس إيه توداى» كتاب جراى الصادر عام ١٩٩٢ واحدًا من بين الكتب الخمسة والعشرين الأكثر تأثيرًا فى القرن العشرين